فيهم لذلك (لأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار) اذ صارت قلوبهم بأعمالهم بساتين الاحوال والمقامات تجرى من تحتها أنهار المعارف فلا بد وان تجرى منها أنهار الانوار الى قلوب اتباعهم كيف ولا يكون بقدر الاعمال اذ يكون (ثوابا من عند الله) فيعظم بقدر عظمته وكيف لا يكون لثوابه نور (والله عنده حسن الثواب) ولكل حسن نور ولو قال قائل لو كانت الحكمة فى خلق السموات والارض الدلالات الداعية الى الايمان والتقوى لكان كل من كفر فى أسوا الاحوال لابطاله الحكمة وكل من آمن فى أحسنها لاتمامه الحكمة لكن كثيرا ما نرى الامر بالعكس يقال له (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) بالتصرف فيها والاستيلاء عليها فانه ليس من محاسن الاحوال فى حقهم بل هو مكر عليهم اذ هو (متاع قليل) يرتب عليه الاستقرار بجهنم اذ يتمتعون أيام الحياة (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وقد أفضى اليه متاعهم فبئس المتاع وما يرى من سوء حال المؤمنين فليس بسوء فى الحقيقة اذ لم يترتب على معاصيهم (لكن الذين اتقوا ربهم) يصيبهم السوء ليكمل جزاؤهم على صبرهم اذ (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله) واذا كان هذا نزلا فلهم درجات فوق ذلك بمجرد التقوى (وما عند الله خير للابرار) العاملين مع التقوى ومن أعمال البر الصبر فانهم عليه درجات كثيرة وسببه الابتلاء فليس بسوء بالحقيقة ولو قيل لو كانت الحكمة الدلالات الداعية الى الايمان الذى يدعون اليه لكان أهل الكتاب أولى بها قيل انما يكون أولى بها من رجح جانب الله على جانب هواه لا بالعكس (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) فيرجح جانبه على هواه (و) لذلك يصدق (ما أنزل اليكم و) ليس ذلك منه كفرا بكتابه بل يصدق أيضا (ما أنزل اليهم) ويدل على اخلاصهم كونهم (خاشعين لله) وانما خالفوا سائر أهل الكتاب لانهم يرجحون جانب الرشوة وهؤلاء (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) ولا يضرهم ترك ذلك الثمن اذ (أولئك لهم) بدله (أجرهم) الكامل (عند ربهم) على الايمان بالله وبالمنزل عليهم وعليكم وبالخشوع وترك الثمن القليل ولا يتأخر أجرهم الى مدة مديدة يؤثر لاجله الرشا الحالة لان الله يسرع حسابهم لايصال اجورهم سريعا (ان الله سريع الحساب) ثم قال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الوقوف على حقائق الاشياء على ما هى عليه ولا يحصل بتقليد العلماء وان سبقوا وبالغوا ما بلغوا لاختلافهم ولذلك يحتاج الى التفكر والمناظرة والنظر فى شرائط الاستدلال بحيث يرتبط المدلول بدليله وترك التعصب والتمسك بالشبهات لذلك (اصبروا) فى التفكر (وصابروا) فى المناظرة (ورابطوا) المدلولات بالدلائل (واتقوا الله) أن تتعصبوا أو تتمسكوا بالشبهات (لعلكم تفلحون) بالاطلاع على حقائق الاشياء * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين

* (سورة النساء) *

سميت بها لان ما نزل منها فى أحكامهن أكثر مما نزل فى غيرها (بسم الله) المتجلى بجميعه فى

الله وبدأت باسم الله ٣ حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه كقوله تعالى واسئل القرية أى أهل القرية ويجوز أن يسمى الفاعل والمفعول بالمصدر كقولك رجل عدل ورضا فرضا فى موضع مرضى وعدل فى موضع عادل فعلى هذا يجوز أن يكون البر فى موضع البار (قوله عز وجل بطانة من دونكم) أى دخلاء من

٣ قوله فى الهامش فحذف المضاف الخ هكذا فى الاصل الذى بأيدينا ولعله سقط بعد قوله باسم الله (قوله عز وجل البر من اتقى) أى البر بر من اتقى فحذف الخ

النفس الواحدة (الرحمن) بخلق زوجها منها وبث الرجال والنساء منهما عمارة العالم (الرحيم) بما أمر من التقوى فى رعاية حقوقه وحقوق خلقه (يا أيها الناس) أى يا من نسى التقوى التى هى حق الربوبية والتربية سيما فى الاموال التى ربا كم بها سيما اذا قطعتم الارحام (اتقوا ربكم) الذى ربا كم بالتمدن وهو الاجتماع مع ابناء الجنس اذهو (الذى) أوجدفيكم مايوجب الائتلاف بينكم على أكمل الوجوه اذجعلكم راجعين الى أصل واحد اذ (خلقكم من نفس واحدة) هى آدم (و) لا ينافيه احتياجكم الى الابوين لانه (خلق منها) من ضلعها الايسر بعد انتزاعها منه فى النوم (زوجها) لذلك كان فيها اعوجاج وضعف وميل الجزء الى كله لذلك غلبت شهوتها وفيه ميل اليها ميل الكل الى جزئه (وبث) أى نشر (منهما رجالا كثيرا ونساء) ثم من الرجال والنساء رجالا آخرين ونساء أخر وهلم جرا الى يوم القيامة ولم يصف النساء بالكثرة لدلالة كثرة الرجال على كثرتهن لامتناع مشاركة رجلين فى امرأة مع جواز اشتراك امرأتين فى رجل واحد ووجه الاتقاء فى ذلك ان من قدر على اخراج أفراد غير محصورة من أمر واحد يقدر على اخراج معان غير محصورة من فعل واحد منها مايدل على الكمال والاستقامة ومنها مايدل على الاعوجاج والنقص ثم أشار الى انه لو لم يتق من جهة التربية لانها جهة اللطف فلابد ان يتقى من جهة الالهية فقال (واتقوا الله) لكمال حكمته وقدرته وعظمته التى تقررت بقلوبكم اذهو (الذى تساءلون) أى يسأل (به) بعضكم بعضا وبالارحام فيقول أنشدتك بالله (والارحام) اذ تقررت عظمتها أيضا هذا على قراءة الجر بحذف المعطوف من الاصل والمعطوف عليه من الفرع وعلى قراءة النصب واتقوا الارحام ان تقطعوها وليس التعويف من قطيعتها تخويفا من لوم الخلق فقط بل من الله تعالى أيضا (ان الله كان عليكم رقيبا) ينظر هل تقطعون الرحم الذى جعله من الرحمن أم لا ثم اشار الى ان أجل مايؤمر فيه بتقوى الله على قطيعة الرحم أموال اليتامى الذين لايخاف من دعاويهم وتضييعاتهم فقال (وآتوا اليتامى) جمع يتيم صغير مات أبوه من اليتم وهو الانفراد (أموالهم) بايتاء نفقتهم وكسوتهم فى الصغر ورد مابقى عند البلوغ (ولا تتبدلوا) بأن تعطوا (الخبيث) الردى من أموالكم (بالطيب) الجيد من أموالهم (ولا تأكلوا أموالهم) بضمها (الى أموالكم) للتوسعة (انه كان حوبا) أى ذنبا يوجب ضيقا فى الآخرة (كبيرا) لايوازى الضيق الدنيوى (وان خفتم ألا تقسطوا) أى ان لا تعدلوا (فى اليتامى) لكثرة عيالكم المحوجة الى أخذ شئ من أموالهم فلا تكثروا النكاح (فانكحوا ما طاب لكم) أى انفوسكم من جهة الجمال او الحسب أو العقل أو الصلاح (من النساء) مقتصرين على سبيل الحصر فى هذه الاقسام (مثنى وثلاث ورباع) أى ثنتين ثنتين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ذكر المكرر ليدل لايكون كتقسيم الالف على درهمين ولم يذكر أو ليدل على ان الكل مخير فى أحد الاقسام بحيث اذا اختار واحدا قسما تعين على الجميع الاخذ به وفهم من الحصر فى الاقسام انه لايجوز جمع خمسة هذا اذا لم تخافوا

غيركم وبطانة الرجل ودخلاؤه أهل سره ممن يسكن اليه ويثق بمودته (قوله عز وجل بضاعة) أى قطعة من المال يتجر فيها (بضع سنين) البضع مابين الثلاث الى التسع (قوله عز وجل بدارا) أى مبادرة (قوله عز وجل بيع) جمع بيعة للنصارى (قوله عز وجل بغاء) زنا كقوله عز وجل ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء أى على الزنا (قوله

الجور (فان خفتم ألا تعدلوا) فى حقوق الايتام أو النساء لعدم الفة القناعة (فواحدة) أى فاختار والنكاح واحدة (أو) للتسرى (ما ملكت أيمانكم) لقلة مؤنتهن وليس هذا مشروطا بالخوف بحيث لولاه وجبت الزيادة لان الغرض منع الزيادة عنده لا وجوبها عند عدمه (ذلك) العدد من الازواج للقانع أو الاقتصار على واحدة أو على التسرى (أدنى ألا تعولوا) أى أقرب من ان لا تكثر عيالكم فيمكن معه القناعة بحيث لا يضطر الى الجور فى أموال اليتامى (وآتوا النساء صدقاتهن) أى مهورهن فانهن كالايتام (نحلة) أى عطاء غير مسترد بحيلة تلجئهن الى الرد (فان طبن) أى رضين (لكم) أى لجلب مودتكم بالعفو (عن شئ منه نفسا) لاحياء عرض لهن منكم أو من غيركم (فكلوه هنيئا) سائغا (مريئا) محمود العاقبة وكانوا يتأثمون من ذلك لما توهموا انه أخذ البضع بلا عوض وقد أسقطنه بعد نملكهن اياه ولا تأثم فى اسقاطهن من قلة عقلهن كالايتام لانهن كالرجال فى التصرفات والتبرعات (و) المال المعطى عن رضا النفس وان كان حلالا للمعطى له (لا تؤتوا السفهاء) من أزواجكم وأولادكم وغيرهما (أموالكم) مخافة ان ينفقوها فى معاصى الله مع انها (التى جعل الله لكم قياما) أى سبب استطاعة على طاعته (و) لكن (ارزقوهم) أى اطعموهم بقدر الحاجة (فيها واكسوهم) بما يليق بهم (وقولوا لهم قولا معروفا) مثل ان تقولوا ان الذى عندى هو مالكم احفظه عليكم اذا رأيت رشدكم أعطيتكم (و) كيف تعطونهم أموالكم وتدفع لكم انكم اذا أردتم أداء أموال اليتامى اليهم (ابتلوا) أى اختبروا (اليتامى) بأن تكلوا اليهم مقدمات العقل قبل البلوغ (حتى اذا بلغوا النكاح) أى صاروا بالغين بالاحتلام أو استكمال خمس عشرة سنة (فان آنستم) أى أبصرتم (منهم رشدا) أى صلاحا فى الدين واهتداء الى حفظ المال (فادفعوا اليهم أموالهم) بلا مطل (و) اذا منعتم ان تدفعوا اليهم أموالهم قبل الاختبار مخافة أكلهم اسرافا فبالاولى أن (لا تأكلوها اسرافا و) لا تبادروا بأكلها (بدارا) كراهة (أن يكبروا) فيأخذوا أموالهم (و) أما الاكل بغير اسراف ففيه تفصيل (من كان غنيا فليستعفف) عن أكلها بالكلية (ومن كان فقيرا) يمنعه اشتغاله بمال اليتيم عن الكسب واهماله يفضى الى تلفه عليه (فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته وأجرة سعيه ثم اشار الى انه كما لا تتلفونها عليهم لا تتلفونها على أنفسكم بترك الاشهاد فقال (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) اذ لا تصدقون فى الدفع اليهم بعد البلوغ وان صدقتم فى دفع قدر النفقة قبله ثم انكم (و) ان حاسبتموهم وأخذتم أقاريرهم لا يكفيكم عند الله بل (كفى بالله حسيبا) ثم أشار الى أن السفهاء وان لم تدفع اليهم أموالهم فلهم نصيب من التركة اذ يستوى فى الارث الكامل والناقص اذ (للرجال نصيب مما ترك الوالدان) وان لم يناسبوا الوالدة اذ ليس بالمناسبة بل بالقرابة (و) لذلك يكون لهم نصيب مما ترك (الاقربون) والقرابة كما توجد فى الكامل توجد فى الناقص (و) لذلك يكون (للنساء نصيب مما ترك الوالدان) وان قصرن عن مناسبة الوالد كيف (و) لا يمنع نقصها ان ترث مما ترك (الاقربون) وليس

(عز وجل بدءا من الرسل) أى بدأ اى ما كنت أول من بعث من الرسل قد كان قبلى رسل

(باب التاء المفتوحة)

(قوله عز وجل تلقى آدم من ربه كلمات) أى قبل وأخذ (قوله عز وجل تاب الله يتوب على العباد والتواب من الناس التائب (قوله عز وجل تجزى) أى تقضى وتغنى كقوله لا تجزى نفس عن

لحمل الكل وتكاية العدو وان كانا كتساب المال لذلك لانه انما يتصور فى المال الكثير وههنا الاعبرة بالكثرة بل (مما قل منه أو كثر) على انه لو كان كذلك لكان بمقدار ما يحتاج اليه فى ذلك المعنى لكن ليس كذلك بل يؤخذ (نصيبا مفروضا) روى انه أتت امرأة أوس بن الصامت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته وأخذا بنى عمه سويد وعرفجة جميع ماله فقالت مات زوجى وترك مالا حسنا وله ثلاث بنات وأنا امرأته ليس عندى ما اطعمهن واكسوهن فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله لا يركبن فرسا ولا ينكين عدوا ولا يحملن كلا فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال لهما لا تقربا شيأ من ماله فان الله جعل لهن ولم يبين حتى أنظر فانزل الله تعالى يوصيكم الله الى آخره فأرسل اليهما فأعطى الزوجة الثمن والبنات الثلثين والباقى لهما وانما أجمل أولا لانه أراد اثبات ما نفوه وانما قال نصيبا مفروضا لئلا يعمل باطلاقه ولم يقل للرجال والنساء نصيب لئلا يتوهم انهن انما يرثن مع الرجال لا منفردات ثم أشار الى انه وان كان لهما نصيب مفروض فللمريض ان ينقص منه بالوصية بل يندب له ذلك سيما فى حق الحاضرين سيما أولى القربى فقال (واذا حضر القسمة) أى وقت قربها (أولوا القربى) الذين لا ارث لهم قدمهم لان اعطاءهم صدقة وصلة (واليتامى) الضعفاء بفقد الآباء (والمساكين) الضعفاء بفقد ما يكفيهم من المال (فارزقوهم منه) أى اعطوهم بعضه وحمل على أقل من النصف لئلا يساوا من عظم فرضه فيكون كأنه قطع نصيبه بالكلية (وقولوا لهم قولا معروفا) مثل استقلال اعطائكم لهم والدعاء لهم وترك المن عليهم (وليخش الذين) حضروا المريض ان يقولوا له ما يبطل حقوق الورثة وان كانوا أقرباء فى أنفسهم أجانب للحاضرين وليس للحاضرين أولاد أولهم أولاد أقوياء فليفرضوا انهم (لو) ماتوا و (تركوا من خلفهم ذرية ضعافا) هل (خافوا عليهم) الضياع أم لا فليفرضوا مثل ذلك فى ورثة المريض فان لم يتقوا أحدا من الورثة لومة أو شتمة (فليتقوا الله و) ليس هذا منعا عن قول الخير بل (ليقولوا قولا سديدا) لا يبطل الحقوق فلا يمنع الوصية ولا يأمر بتضييع الوصية الورثة واذا منع المريض من التصرف فى ماله لحق الورثة ولو أقوياء والحاضرون من أمره بالتضييع فالاكلون أولى بذلك (ان الذين يأكلون) من الحكام أو الاوصياء أو الورثة (أموال اليتامى ظلما) ولو بوصية الميت على سبيل الاسراف بخلاف أكل الفقير الناظر فى ماله بقدر أجرته (انما يأكلون) ما ينقلب (فى بطونهم نارا) عقلية أو خيالية يعذبون بها فى قبورهم (وسيصلون) فى القيامة ظاهرا وباطنا (سعيرا) ولما حذر من الظلم فى أكل أموال اليتامى أشار الى العدل فى قسمته وقدم ميراث الاولاد لانهم قائمون مقامه من بعده كأنهم عينه فقال (يوصيكم الله) أى يأمركم ويعهد اليكم باعتبار اسمه الجامع لجمعه وجوه الحكمة البالغة (فى أولادكم) لمزيد رحمته عليهم (للذكر مثل حظ الانثيين) أى للابن مع البنتين مثل نصيبهما ولابن الابن مع بنتى الابن مثل نصيبهما وهكذا فى السافلين لانه لو كمل نصيبها مع انها قليلة العقل

نفسا شيأ) أى لا تقضى ولا تغنى عنها شيأ يقال جزى فلان دينه اذا قضاه وتجازى فلان دين فلان أى تقاضاه والتجازى المتقاضى (قوله عز وجل تلبسون) أى تخلطون (قوله عز وجل تعثوا) العثو والعيث أشد الفساد (قوله عز وجل تعقلون) العاقل الذى يحبس نفسه ويردها عن هواها ومن هذا قولهم

كثيرة الشهوة لا تلفته في الشهوات اسرافا ولانها قد تنفق على نفسها وهو على نفسه وزوجته لم يقل للذكر ضعف نصيب الانثى لان الضعف يصدق على المثلين فصاعدا فلا يكون نصا ولم يقل للانثيين مثل حظ الذكر ولا للانثى نصف حظ الذكر لقدمها للذكر ولم يقل للذكر مثلا نصيب الانثى لان المثل في المقدار لا يتعدد الا بتعدد الاشخاص ولم يعتبر ههنا هذا اذا كانوا ذكورا واناثا وان كان ذكرا أخذ الكل لانه ضعف نصيب البنت الواحدة المنفردة وهو النصف (فان كن نساء) محضة فانهن وان كن (فوق اثنتين) لا يحزن الكل رعاية للنقص الذاتي (فلهن ثلثا ما ترك) فكما أخذ الواحدة الثلث مع أخيها تأخذه مع أختها وليس دون الاخوات في القرابة وقد جعل الثلثين لاثنتين منهن فالبنتان أولى (وان كانت واحدة) فلا يكون لها الثلثان فيكون نصيبها بلا شريك كنصيبها معه (فلها النصف) أي نصف ما ترك ولم يكمل لها الانها ناقصة ولذلك لم يجعل لها الثلثان اللذان هما نصيب الابن معها وذكر بعد ميراث الاولاد ميراث الوالدين لانهم مثلهم في الجزئية فقال (ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) لانه ان كان ايا أخذ نصيب الاب لتقدمه في العصوبة التي هي أصل الاب فشارك الاب الام في الثلث الذي لها في الاصل وان كانت بنتا قدمت بنصفها وأخذ الاب السدس بالعصوبة وشارك الام في ثلثها لئلا يحط الذكر عن درجة الانثى (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث) والباقي للاب للذكر مثل حظ الانثيين لكن قرر لها الثلث تنزيلا لها منزلة البنت مع الابن لا منفردة حطا لها عن درجتها لقيام البنت مقام الميت في الجملة هذا اذا انفردت الام عن كثرة الاخوة والاخوات (فان كان له) معها (اخوة) أو اخوات متعددة (فلامه السدس) لان الواحد منها اذا كان من جهة الام أخذ السدس فاذا تعددوا شاركوا الام في ثلثها مع ذلك ولو كانوا من جهة الاب أو الابوين فهم اولى بالنقص من حقها والفروض المذكورة انما يعطى أصحابها (من بعد وصية) لا رجوع عنها بل (يوصى بها أو دين) لانه يقدم على الوصية فكيف لا يقدم على الفروض ثم أشار الى أن ترتيب الورثة لم يفوض الى رأيكم لتعطوا من رأيتموه أنفع لكم فقال (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون) في أغلب الاحوال (أيهم أقرب لكم نفعا) فاعتبرت قوة القرابة فصارت (فريضة من الله) بمقتضى علمه بالمراتب وحكمته في الترتيب (ان الله كان عليما حكيما) ولما فرغ عن ميراث النسب المتحقق فيه الجزئية شرع في ميراث السبب وقدمه على النسب الذي لا جزئية فيه لانها بالواسطة فقال (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) جعل ارث السبب نصف ارث النسب (ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) جعله شريكا في نصيب ذي السبب لانه في الاصل حائز فكمل نصيبه بتشريكه وهذا أيضا مع نقصان النصيب (من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم) ليكون للانثى نصف حظ الذكر (ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) تشريكا للولد في نصف نصيبهن مع قلته وهذا أيضا مع غاية قلته (من

اعتقل لسان فلان اذا حبس ومنع من الكلام (قوله تسفكون) أي تصبون (قوله عز وجل تظاهرون عليهم) أي تعاونون عليهم (قوله تهوى أنفسكم) أي تميل ومنه قوله أفرأيت من اتخذ الهه هواه أي ما تميل اليه نفسه وكذلك الهوى في المحبة وهو ميل النفس الى ما تحبه (قوله تشابهت قلوبهم) أي أشبه بعضها

بعد وصية توصون بها أو دين) ولما فرغ عن ميراث من ورث بنفسه شرع في ميراث من ورث بالواسطة فقال (وان كان رجل يورث كلالة) اى من غير جهة الاب والفرع (أو امرأة) ورث كذلك صرح بها اشعارا بأنه كما يستوى منه بالنظر الى المأخوذ منه يستوى منه بالنظر الى الآخذ لان جهة الآخذ جهة الانثى فلو رجح الاخ بذكورته رجحت الانثى بمزيد المناسبة (وله أخ) من الام (أو أخت) من الام (فلكل واحد منهما السدس) الذى هو أقل نصيب الام الذى أخذها بواسطتها (فان كانوا) اى اولاد الام (أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) الذى هو أعظم نصيب الام وأما الاخ والاخت من الاب أو الابوين فسيأتى حكمهما في آخر السورة وما قل نصيبهم ههنا قال (من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار) لوارث آخر ولو بوصية الميت لكون المذكور (وصية من الله و) لا يكون الا بمقتضى علمه وحكمته اذ (الله عليم) يعلم الاشياء والحكمة التى فيها فيحكم بمقتضى الحكمة ويعاقب من يترك حكمته ولكن لا يعجل اذ هو (حليم) فلا يخالف بالرأى الفاسد ثم أشار الى ان الاحكام المذكورة لو لم تكن على مقتضى العلم والحكمة لم يجز تغييرها اذ (تلك) الاحكام (حدود الله) وأقل ما فيها ان مراعيها مطيع الله ورسوله ومغيرها عاص لهما (ومن يطع الله ورسوله) فانه وان نقص حظه الدنيوى (يدخله) بدله (جنات تجرى من تحتها الانهار) ولو حصل له حظه لم يبق عليه وهذا باق لكونهم (خالدين فيها) ولو بقى فهو حقير (وذلك الفوز العظيم) الذى لو لم يبق لوجب ايثاره على الحقير الباقى (ومن يعص الله ورسوله و) سيما (يتعد حدوده) فانه وان وجد شهوته وجاهه في الدنيا (يدخله نارا) تحول بينه وبين ما يشتهيه لا يبقى له ما حصل ويبقى عذابه اذ يصير (خالدا فيها و) لو بقى لا يوازى عذابه شهوته وجاهه اذ (له عذاب مهين) ولما فرغ عن أحكام الموتى حسا شرع في أحكام الموتى معنى فقال (واللاتى يأتين الفاحشة) اى الخصلة البليغة في القبح وهى الزنا حال كونهن (من نسائكم) أيها المسلمون (فاستشهدوا عليهن) اى فاطلبوا من القاذفين لهن (أربعة منكم) أى من المسلمين (فان شهدوا فأمسكوهن) أى احبسوهن حبس الميت في القبور (في البيوت) ليحبسن عن الزنا (حتى يتوفاهن الموت) أى يستوفى أرواحهن ملائكة الموت (أو يجعل الله لهن سبيلا) وهو رجم المحصنة وجلدها مع تغريب عام فكان الحبس في أول الاسلام لكثرة الزنا وافضاء الرجم الى الارتداد ثم نسخ (و) الرجلان (اللذان يأتيانها) أى الفاحشة وهى اللواطة (منكم) أيها المسلمون (فآذوهما) بالتعيير والجلد (فان تابا) قبل ايذائهما (وأصلحا) بالقرائن (فأعرضوا عنهما) بالاغماض والستر (ان الله كان توابا رحيما) وقد نسخ أيضا ان الله تعالى وان كان توابا رحيما فلم يلتزم قبول كل توبة بل (انما التوبة) التى يكاد قبولها يجب (على الله) هى الحاصلة (للذين يعملون السوء) فاحشة أو غيرها (بجهالة) بضررها ولو اعتمادا على كرم ربه وعفوه (ثم) لا يصرون عليه بل (يتوبون من قريب) قبل ان يصير رينا على قلوبهم (فأولئك) وان كثرت سيئاتهم وعادوا الى المعاصى والتوبة (يتوب الله عليهم) في كل مرة لعلمه بأنه أتى بذنب بجهالة دعته الى ترجيح

وعضا في الكفر والقسوة
(قوله تصريف الرياح) أى تحويلها من حال الى حال جنوبا وشمالا ودبورا وصبا وسائر أجناسها
هلاك (قوله تعالى تحتانون أنفسكم) تفتعلون من الخيانة (قوله عز وجل تربص أربعة أشهر) أى تمكث أربعة أشهر (قوله تعضلوهن) أى تمنعوهن من التزوج وأصله من عضلت

هواه على عقله واقتضاء حكمته قبول عذر من صدق فى اعتذاره (وكان الله عليما حكيما) ولو لم يكن عن جهالة أو لم يتب عن قريب فهى جائزة القبول مالم يؤخر الى وقت العجز وهو وقت حضور الموت (و) ذلك لانه (ليست التوبة) حاصلة (للذين يعملون السيآت) اى المعاصى الفرعيات ويصرون عليها (حتى اذا حضر أحدهم الموت) المعجز عن العود الى مثلها (قال انى تبت الآن) فان قبول التوبة حينئذ ممتنع بمقتضى الحكمة لكنه فى المعاصى الفرعية وأما الاعتقاديات فيجوز التوبة عنها مالم يكاشف عن عالم الآخرة بالغرغرة أو الموت فلا توبة لاهل الغرغرة (ولا الذين يموتون وهم كفار) لانهم بمجرد الموت يعاينون العذاب اذ (أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما) يصلون اليه بمجرد الموت ويكاشف لهم عنه عند الغرغرة ولو لم يكن معد الهم لربما جازت توبتهم بعد الموت أيضا ولما فرغ عن بيان حكم الفواحش التى اعترفوا بها شرع فى بيان حكم الفواحش التى لم يعترفوا بها وهى انهم كانوا اذا مات أحدهم وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته أو خبائها فيصير أحق بها فى زعمهم فيتزوجها بلا صداق لزعمه أن صداق الميت صداقه أو يزوجها من غيره ويأخذ صداقها أو يمنعها من التزوج لتفتدى بما ورثت أو تموت هى فيرثها فقال (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء) من ميتكم أنفسها أو صداقها أو فداءها أو مالها بموتها (كرها) اى حال كونها كارهة كيف وهو تضييق على الاجنبيات (و) قد منعتم من التضييق على أزواجكم اذ قيل لكم (لا تعضلوهن) اى لا تمنعوهن عن الحقوق حتى تضيقوا عليهن (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) فى المهور والنفقات ليتخلصن به عنكم (الا أن يأتين بفاحشة) اى زنا أو نشوز أو سوء خلق (مبينة) لا متوهمة فيحل للزوج أن يسألها الخلع ولكن بعد حسن عشرته لذلك قيل لكم (وعاشروهن بالمعروف) اى بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول حتى لا تكونوا سبب الزنا بتركهن أو سبب النشوز أو سوء الخلق فلا يحل لكم حينئذ (فان كرهتموهن) فلا تلجؤهن الى الخلع ولا تعضلوهن بل اصبروا عليهن (فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) فى الدنيا والآخرة وكانوا اذا أراد أحدهم نكاح جديدة بهت امرأته بزنا أو سوء خلق أو نشوز حتى يلجئها الى الافتداء ليصرفه فى تزوج الجديدة أو مهرها أو نفقتها فقال الله عز وجل (وان أردتم استبدال زوج) جديدة (مكان زوج) تطلقونها اذ يتعذر الجمع او يتعسر (وآتيتم احداهن) اى احدى نسوتكم التى تريدون تطليقها ونكاح جديدة مكانها (قنطارا) اى مالا كثيرا مركوما بعضه على بعض فى مهرها او نفقتها (فلا تأخذوا منه شيأ) ليصير مهر الجديدة او نفقتها او مؤن تزوجها سيما بالبهتان عليها (أ) يحل لكم وأنتم (تأخذونه) باهتين عليها (بهتانا) لم ينشأ عن ظن (و) لكن أثم فيه (اثما مبينا) فكيف يحل لكم شئ اثم فى سبب تحصيله وهو البهتان (وكيف تأخذونه وقد) تقرر اذ (أفضى) اى وصل (بعضكم الى بعض) فأخذ عوضه (و) قد (أخذن منكم) بقول العاقد زوجتكها على ما أخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أو تسريح باحسان (ميثاقا) اى عهدا وثيقا (غليظا)

المرأة اذا نشب ولدها فى بطنها وعسر ولادته ويقال نشب فلان أى عسر عليه اذا منعها من التزوج (قوله عز وجل تعدوا) أى تعلوا (قوله عز وجل تسامروا) أى تعلوا (قوله عز وجل ترتابوا) تشكوا (التوراة) معناها الضياء والنور وقال البصريون أصلها ووريه فوعلة من وريت الزند وورى لغتان اذا خرجت

مؤكدا

مؤكدا مزيدا تأكيد يعسر معه نقضه كالثوب الغليظ يعسر شقه ثم أشار الى أنه انما تحل امرأة الموروث طوعا اذا لم تكن امرأة أحد الاصول فقال (ولا تنكحوا) اى ولا تطؤا بنكاح اوملك يمين (ما نكح) اى وطئ باحد الوجهين (آباؤكم) اى أحد أصولكم (من النساء) وان لم يكن أمهاتكم وكذا ان لم ترثوهم لاختلاف الدين فهن محرمات عليكم (الا ما قد سلف) فانهن غير محرمة عليكم بمعنى أنكم لا تؤاخذون بها وان لم تغتفر (انه كان فاحشة) اى خصلة قبيحة جدا لانه يشبه نكاح الامهات (و) لذلك كان (مقتا) اى أشد بغض عند الله وعند ذوى المروآت حتى سموا ولد الرجل من امرأة أبيه مقيتا كيف (و) قد (ساء سبيلا) اى هتك حرمة الاب ولما حرمت أزواج الاصول لما فيه من هتك حرمتهم (حرمت) بطريق الاولى (عليكم أمهاتكم) اى وطء أصولكم لانه استهانة واستهانة الاصول قبيحة (وبناتكم) اى فروعكم لانهن كالاصول فى الجزئية (وأخواتكم) من أم او أب او منهما لانهن بعض اجزاء الاصول فهتكهن هتك بعض اجزاء الاصول (وعماتكم) لانهن فروع اصل الاب فهتكهن هتك بعض اجزاء أصل الاصل (وخالاتكم) لانهن فروع أصل الام (وبنات الاخ) لانهن فروع فرع الاصل وجزء الجزء جزء فهتكهن هتك بعض اجزاء الاصل (وبنات الاخت) لذلك (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم) لان الرضاع جزء منها وقد صار جزأ من الرضيع فصار كانه جزؤها فاشبهت أصله (وأخواتكم من الرضاعة) لانها جزء ما أشبهت أصله فاشبهت جزء أصله وأشار بلفظ الامهات والاخوات الى اعتبار جهات قرابة المرضعة (وأمهات نسائكم) اى أصول أزواجكم لانهن أصول فروعكم تحقيقا او تقديرا فهن كاجزاء اجزائكم (وربائبكم) اى فروع أزواجكم لانهن يشبهن البنات اذهن (اللاتى فى حجوركم) كالبنات الا انه انما يتحقق الشبه اذا كن (من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) لانهن حينئذ بنات موطوآتكم كبنات الصلب (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) لان كونهن فى حجوركم حينئذ كحكم الاجنبيات فيها (وحلائل أبنائكم) اى موطوآت فروعكم بنكاح أوملك يمين لانهم أشبهوا الاصول فى الجزئية فاشبه أزواجهم بأزواجهم وقيدهم بكونهم (الذين من أصلابكم) احترازا عن زوجة المتبنى وزوجة ابن المرأة (و) حرم عليكم (أن تجمعوا بين الاختين) فى الوطء بنكاح أوملك يمين لما فيه من قطيعة الرحم وفى معناهما كل امرأتين أيتهما فرضت ذكرا كان بينهما محرمية (الا ما قد سلف) فانه معفو عنه وان لم يقرر (ان الله كان غفورا رحيما و) حرمت عليكم (المحصنات) اى المزوجات من الغير (من النساء) حرائر واماء لئلا تختلط المياه فيضيع النسب (الا ما ملكت أيمانكم) بالسبى على أزواج الكفار فانه يرفع نكاحهن ويفيد الحل بعد الاستبراء ولو لم تعقلوا معانى حرمتهن فلا تستبيحوهن بل الزموا (كتاب الله) فانه يجب متابعته (عليكم و) لاضرورة لكم فى استباحتهن أبدا لانه (أحل لكم ما وراء ذلكم) المذكور لفظا ومعنى وان كان فيهن نوع جزئية للاصول لو اعتبر لسد باب النكاح وخص من ذلك نكاح المطلقة ثلاثا قبل التحليل ونكاح الملاعنة والمعتدات

نازه ولكن الواو الاولى قلبت تاء كما قلبت فى توجل وأصله ووجل من وجل اى دخل والياء قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقال الكوفيون توراة أصلها توورية على تفعلة الا ان الياء قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ويجوز أن يكون توراة على وزن تفعلة فنقل من الكسر الى الفتح كما قالوا جارية وجاراة وناصية وناصاة

والمشركات وذوات الارحام وليس حلهن بطريق الهبة بل بطريق (أن تبتغوا) اى تطلبوا (بأموالكم) تصرفونها فى مهورهن تحقيقا او تقديرا اوثمنهن او أجورهن حين جازت المتعة (محصنين) اى متحفظين عن اللوم والعقاب بنكاح أو متعة حين جازت أو ملك يمين (غير مسافحين) زانين فانه وان طاب بالمال يحرم لعدم تعيين المدة بخلاف المتعة (فما استمتعتم به منهن) اى فمن جامعتموهن ممن نكحتموهن نكاح المتعة (فآتوهن أجورهن) فانه انما يلزم فى الجماع بخلاف المهر فانه يجب نصفه قبل الوطء بالفراق حال الحياة وانما يجب المسمى اذا كان (فريضة) والا لزم أجرة المثل (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به) من الزيادة على المسمى او النقصان منه (من بعد الفريضة) فانه يجوز فيه التغيير بالتراضى (ان الله كان عليما حكيما) فى تزويج المتعة حين الحاجة وبتحريمها بعد انقطاعها لانه يلتبس بالزنا فى نظر العامة ويفضى الى اختلاط المياه قال الشافعى لا أعلم شيأ أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة ونقل ابو عبيدة الاجماع على نسخها ثم أشار الى نكاح ما يستباح للضرورة كنكاح المتعة لكنها ضرورة مستمرة لا تنقطع بكثرة الاسلام فقال (ومن لم يستطع) اى لم يقدر (منكم) أيها الاحرار بخلاف العبيد أن يحصل (طولا) اى غنى يمكنه به (أن ينكح المحصنات) اى الحرائر المتعففات بخلاف الزوانى اذ لا عبرة بهن (المؤمنات) اذ لا عبرة بالكوافر (فمن ما ملكت أيمانكم) اى فله أن ينكح بعض ما يملكه أيمان اخوانكم (من فتياتكم) اى اماتكم حال الرق (المؤمنات) لا الكتابية لانه لا يحتمل مع عار الرق عار الكفر بل عار الكفر أشد لذلك جوز بعض أصحابنا نكاح الامة مع القدرة على نكاح الحرة الكتابية ويخاف فيه مخالطة الكفار ومواليهم وهو أشد من خوف رق الولد (و) لا يشترط الاطلاع على بواطنهن بل يكتفى بظاهر ايمانهن وان كن مكرهات كما لا يشترط الاطلاع على بواطن ايمان الحرائر والاحرار بل (الله أعلم بايمانكم) ويتحمل عار الرق للضرورة اذ (بعضكم من بعض) فى الرجوع الى آدم والرق عارض لكن لا يبطل حق المالك (فانكحوهن باذن أهلهن) لاستقلالا (وآتوهن باذنهن (أجورهن) وان لم يكن تسم (بالمعروف) بلا مطل وضرار اذا كن (محصنات) اى متعففات ويكفى فى ذلك كونهن فى الظاهر (غير مسافحات) اى زانيات بكل من دعاهن (ولا متخذات أخدان) اى اخلاء يتخصصن بهم فى الزنا فلو كن احدى هاتين فلكم المناقشة فى أداء مهورهن ليفتدين نفوسهن (فاذا أحصن) اى ظهر احصانهن وأدى مهورهن (فان أتين بفاحشة) اى زنا (فعليهن) الآن ما كان عليهن قبل النكاح وقبل أداء المهر وهو (نصف ما على المحصنات) اى الحرائر (من العذاب) وهو خمسون جلدة لا الرجم ولا استرداد المهر لانهن من أهل المهانة فلا يفيد فيهن المبالغة فى الزجر ولهاتهن خص (ذلك) اى اباحة نكاحهن (لمن خشى) اى خاف (العنت) اى المشقة فى التحفظ من الزنا (منكم) ايها الاحرار (وأن تصبروا) على تحمل تلك المشقة (خير لكم والله غفور) لما يخطر فى قلوبكم من دواعى الزنا (رحيم) باعطائكم الاجر على الصبر مع تلك الخواطر (يريد الله) بتحريم ما حرم من النساء

(قوله عز وجل تأويل) اى مصير ومرجع وعاقبة (قوله عز وجل وابتغاء تأويله) اى ما يؤول اليه من معنى وعاقبة ويقال تأول فلان الآية اى نظر الى ما يؤول معناها (قوله عز وجل تخلق من الطين) اى تقدر يقال لمن قدر شيأ واصلحه قد خلقه وأما الخلق الذى هو احداث الله عز وجل (قوله تذخرون) تفتعلون من الذخر (قوله

وتحليل

وتحليل ما أحل بالشرائط (ليبين لكم) مقتضى حكمته (و) ليست مما يختلف باختلاف الامم والازمنة فهو يريد ببيانها ان (يهديكم سنن) اى طرق الانبياء (الذين من قبلكم ويتوب عليكم) بالرد الى وجه الحكمة فيما أخطأتموه فيه وكيف يتركم على الخطا (والله عليم) بخطئكم (حكيم) لا يرضى بترك الخطا (والله يريد أن يتوب عليكم) يمنعكم أن ترثوا النساء كرها وان تنكحوا ما نكح آباؤكم وان تجمعوا بين الاختين ليردكم الى مقتضى الحكمة (و يريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا) عن مقتضى الحكمة (ميلا عظيما) بالكره وهتك حرمة الاباء وافساد ذات البين ولو قيل انه قد أمركم بالميل فى نكاح بنات العمات والخالات مع انهن فروع أصولكم قيل (يريد الله) باباحتهن (أن يخفف عنكم) بالرخصة فيما بعد فيه الاصل والفرع جميعا ثلاثة اسباب النكاح اذ لو اعتبر لوجب منع الانسان من شهواته (و) لكن (خلق الانسان ضعيفا) واضعفه قد جوز له الامة ثم أشار الى أن من ميل مبتغى الشهوات التصرف فى الاموال بالطريق الباطل كالزنا فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم التحفظ من الباطل فى كل شئ (لا تأكلوا أموالكم) اى لا يأكل بعضكم أموال بعض ولو (بينكم) لا يخرج عنكم (بالباطل) من طرق التصرفات وكلها باطلة (الا أن تكون تجارة) اى معاوضة محضة كالبيع والاجارة أو غير محضة كالنكاح او أخروية كالصدقة او دنيوية صدرت (عن تراض) من جانب الآخذ والمأخوذ منه (منكم) أيها الاحرار (ولا تقتلوا) بتضييع المال سيما بصرفه فى الزنا (أنفسكم) أما بتضييع المال فظاهر وأما بالزنا فلانه قتل معنوى للاولاد بابطال نسبهم وقتل لانفسكم اذ لا عقب لكم يقوم مقامكم (ان الله) بهذه التكليفات (كان بكم رحيما) اذ لا تعود الى عبادته (ومن يفعل ذلك) اى يأكل مال الغير (عدوانا) اى بطريق باطل تعدى فيه ما كان الله به (وظلما) بوضعه فى غير موضعه فقد خالف الله فيما أمر من اتمام الحكمة (فسوف نصليه نارا) وان لم يحل بشئ من عباد تنا لكنه أخل بأمرنا و نهينا وان كانا لا ينفعه (و) لا يمنع من ذلك كمال رحمته بل (كان ذلك على الله يسيرا) ثم أشار الى أن رحمته لا تقتضى ترك صاحب الكبائر بل التجاوز عن صاحب الصغائر اذا اجتنب الكبائر فقال (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) وهى التى رتب عليها الحد أو أوعد عليها صريحا وقد قيل أكبر الكبائر الشرك بالله وأصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما أوساط وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والزنا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين (نكفر عنكم سيآتكم و) من كمال رحمتنا (ندخلكم) مع اجتراحكم علينا بالصغائر (مدخلا كريما) وقيل من عن له أمران ونهيت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها من أكبرهما كفر عنه ما ارتكب لما استحق عن الثواب على اجتناب الاكبر ثم أشار الى أن رؤية الشخص فضل أعماله أو حقارة ذنوبه مما يخل باجتناب الكبائر فقال (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) بسبب ترجيح الحسنات أو حط السيآت كما قال به الرجال انا نرجو أن يفضلنا الله

وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) اى فلن تجحدوا ثوابه (قوله تنهوا) اى تضعفوا (قوله عز وجل تحسونهم) اى تستأصلونهم قتلا (قوله عز وجل تعولوا) تجوروا وتميلوا وأما قول من قال الا تعولوا أن لا يكثر عيالكم فغير معروف فى اللغة (وقال) بعض العلماء انما أراد ان لا يكثر عيالكم أى ان لا تنفقوا على عيال وليس

على النساء بالحسنات فى الآخرة كما فضلنا بالميراث وقالت النساء انا نرجو أن يكون وزرنا نصف وزر الرجال كما ان لنا نصف ميراثهم بل (للرجال نصيب مما اكتسبوا) من حسناتهم لا ضعفه كالسيآت (وللنساء نصيب مما اكتسبن) من سيآتهن لا نصفه كالحسنات فان ترجيح أحد الجانبين دون الآخر تحكم محض (و) لكن (اسئلوا الله من فضله) أن يضاعف حسناتكم وينقص بل يمحو سيآتكم وليس ذلك بطريق التحكم بل (ان الله كان بكل شئ عليما) فيتفضل على من هو مستعد للتفضل عليه ثم أشار الى أن اعطاء الفضل لا ينافى نصيب الاكتساب فان اكتساب الحسنات والسيآت كاكتساب الاموال يكون لكل مكتسب نصيب منها (و) مع ذلك (لكل) من الاموال (جعلنا) من فضلنا (موالى) ولاة لم يكتسبوه بل حصل لهم (مما ترك الوالدان و) مما ترك (الاقربون و) مما ترك (الذين عقدت أيمانكم) فقلتم دمى دمك وحربى حربك وسلمى سلمك وترثنى وأرثك وتعقل عنى وأعقل عنك (فآتوهم نصيبهم) وهو السدس حفظا لايمانكم لأحفظ عليكم ما وعدتكم من اعطاء الفضل بالسؤال وكان هذا فى أول الاسلام طلبا للتقوية بكثرة المحالفين فلما قوى الاسلام نسخ بقوله عز وجل وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض (ان الله كان على كل شئ شهيدا) ينظر من يفى بحلفه فيفى له بفضله ثم أشار الى أن تفضيل الرجال على النساء ليس لفضلهم فى الآخرة بل لان لهم ولاية على النساء فقال (الرجال قوامون) اى لهم المبالغة فى القيام بمصالح النساء وتأديبهن فلهم ولاية (على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض) اى بسبب تفضيل الله بعض خلقه على بعض بكمال العقل ومزيد القوة والكامل بنفسه له حق الولاية على الناقص (و) تأكد ذلك (بما أنفقوا من أموالهم) فى مهورهن ونفقاتهن فصرن كالارقاء الذين لا يملكون وان ملكهم السيد لكن لما لم يتحقق الرق اقتصر على نقص الحظ ولكونهم فى معنى السادات وجبت عليهن طاعتهم كما يجب على العبيد طاعة السادات (فالصالحات) من النساء (قانتات) اى مطيعات للازواج ومن طاعتهن أنهن (حافظات للغيب) اى لما غاب عن أزواجهم من أموالهم وفروجهن مستعينات (بما حفظ الله) اى بحفظه مخافة أن يغلب عليهن نفوسهن وان بلغن من الصلاح ما بلغن (و) من قوامية الرجال ان (اللاتى تخافون) بظهور العلامة (نشوزهن) اى عصيانهن (فعظوهن) اى خوفوهن بالقول كاتقى الله واعلى أن طاعتك لى فرض عليك (و) ان لم ينزعن (اهجروهن فى المضاجع) اى ولوهن ظهوركم أو اعتزلوهن فى فراش آخر (و) ان لم ينزعن بذلك (اضربوهن) ضربا غير مبرح (فان أطعنكم) فى أثناء هذه الافعال (فلا تبغوا عليهن سبيلا) لما قيها ولا للطلاق ولا تغتروا بعلوكم (ان الله كان عليا كبيرا وان خفتم) أيها الحكام (شقاق بينهما) اى مخالفة مفرقة بينهما واشتبه عليكم أنه من جهتها أو من جهتهما ولا يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة ولا تؤدى المرأة الحق ولا الفدية (فابعثوا حكما من أهله) اى أقاربه اذ هم أعلم بباطن الاحوال (وحكما من أهلها) لئلا يميل الاول الى جانبه وهذا على سبيل الاستحباب ويجوز هذا من جانب الاجانب (ان يريدا) أى

يتفق على عمال حتى يكون لاعمال فكلما أراد ذلك أدنى الا تكونوا ممن يعول قوما

(قال أبو عمرو أخبرنا ثعلب عن على بن صالح صاحب المصلى عن الكسائى قال من العرب من يقول عمال يعول اذا كثر عياله وأخبرنا أبو عمرو بن الطوسى عن اللحيانى مثله)

(قوله عز وجل تغلوا فى دينكم) اى تجاوزوا الحد

الحكمان (اصلاحا يوفق الله) اى يوقع الله الوفاق (بينهما) ويستقلان بذلك ويتوكلان فى الخلع والطلاق ويجب عليهما أن يخلوا ويستكشفا عن حقيقة الحال فيعرفا ان رغبته فى الاقامة أو المفارقة (ان الله كان عليما خبيرا) بظواهر الحكمين وبواطنهما ان قصدا افسادا يجازيهما عليه والايجازهما على الاصلاح ثم أشار الى أن الفضل الاخروى ليس بهذه القواصمة ولا سائر الفضائل الدنيوية بل بعبادة الله مع توحيده وبالاحسان الى خلقه فقال (واعبدوا الله) فان عبادتكم اياه تقربكم اليه (و) شرط تقريبها اليه أن (لا تشركوا به شيأ) من الشرك الجلى والخفى للنفس وشهواتها وما يتوصل به اليها من المال والجاه هذا مع الله (و) امامع الخلق فاحسنوا (بالوالدين احسانا) يعنى بحق تربيتهما فانه شكر لهما يدعو الى شكر الله المقرب اليه مع ما فيه من صلة أقرب الاقارب الموجب لوصلة الله وقطعها القطعه (وبذى القربى) اى الاقارب ليكون صلة مقربة اليه (واليتامى والمساكين) ترحما عليهم مستوجبا لرحمته عز وجل (والجار ذى القربى) اى الذى قربت داره (والجار الجنب) اى الذى بعدت داره لان لهما قربا حسيا فاشبها ذوى القربى (والصاحب) فى الخيرات (بالجنب) فانه كالجار (وابن السبيل) اى المسافر فانه كاليتيم لانقطاعه عن أهله (وما ملكت أيمانكم) فانهم كالمساكين اذ لا يملكون شيأ وكيف تكون الفضائل الدنيوية بدون عبادة الله والاحسان الى خلقه فضائل أخروية مفيدة للتقرب اليه موجبة لرحمته وهى موجبة للخيلاء والفخر ولا يتم الا بالبخل أو الانفاق رياء (ان الله لا يحب من كان مختالا) اى متكبرا يأنف عن عبادة الله (فخورا) لا يبالى بخلقه ولا يحسنون الى الخلق لانهم (الذين يبخلون و) لا يكونون سببا للاحسان أيضا اذ (يأمرون الناس بالبخل و) يبالغون فيه حتى انهم (يكتمون ما آتاهم الله من فضله) بل يكفرون بكونه من فضله أو ينسبونه الى اكتسابهم (وأعتدنا للكافرين) المستهينين بنا بنسبة الفضل الى غيرنا (عذابا مهينا والذين) لا يبخلون منهم انما (ينفقون أموالهم رئاء الناس) فلا يقبل احسانهم لان رياءهم يدل على تفضيلهم الخلق على الله وروئيتهم على ثوابه (و) هو دليل انهم (لا يؤمنون بالله) الذى يتقرب اليه (ولا باليوم الآخر) الذى هو يوم الجزاء (و) كيف يقرب هذا الاحسان من الله وهو مقرب الى الشيطان (من يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا) اى أى ضرر من فوات تعظيم الخلق أو فوات حطام من جهتهم يغلب (عليهم لو آمنوا بالله) فلم يرجحوا الخلق عليه (واليوم الآخر) فلم يرجحوا تعظيمهم وحطامهم على ثوابه (وأنفقوا مما رزقهم الله) طلبا لرضاه وأجر آخرته وأى فائدة لهم فى علم الخلق (وكان الله بهم عليما) وأى ضرر فى فوات تعظيم الخلق وفوات حطامهم مع ايفاء الله تعالى ثوابهم (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) فى محل الغضب بالافراط فى التعذيب (و) لكنه يفرط فى محل الرضا فانه (ان تك) ذرتهم (حسنة يضاعفها ويؤت) زيادة على الاضعاف (من لدنه) مما يناسب عظمته (أجرا عظيما) ولو كانوا مرائين من حياء الناس أو تاركين الايمان بالله ورسوله من ذلك (فكيف) حالهم فى الحياء (اذا جئنا من كل أمة

وترتفعوا عن الحق (قوله عز وجل تستقسموا بالازلام) اى تستفعلوا من قسمت أمرى (قوله تعالى تنقمون منا) اى تكرهون منا وتنكرون (قوله تبوء باثمى واثمك) اى تنصرف بهما اذا قتلتنى وما أحب أن تقتلنى فان قتلتنى أحببت أن تنصرف باثم قتلى واثمك الذى من أجله لم يتقبل قربانك فتكون من أصحاب النار (قوله تصغى اليه) اى

بشهيد) يشهد عليها بين الاولين والآخرين بقبائحهم (وجئنا بك) اذا كذبت الامم الشهداء (على هؤلاء) الشهداء (شهيدا) يزكيهم ويصدقهم (يومئذ يود) من افراط الحياء (الذين كفروا) حياء من قومهم (و) لم يستحيوا من الله بعد ارساله الرسول يأمرهم بالحياء منه فلم يستحيوا منه ولا من الرسول اذ (عصوا الرسول) الذى هو أولى بالاحتشام والحياء منه دون سائر الناس الذين هم كالانعام (لو) صاروا ترابا بحيث (تسوى بهم الارض) لكان أتم لهم عزة من الهوان الذى يلحقهم من فضائحهم كيف (ولا يكتمون الله حديثا) من أحاديث أنفسهم فضلا عن ظواهر أفعالهم ثم أشار الى أن مما يستحيا من الله الصلاة حال الغفلة أو الجنابة أو الحدث فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الحياء من الله ومن الحياء منه ان (لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى) لا تعلمون ما تخاطبونه فالحياء من الله يوجب تركك ذلك (حتى تعلموا ما تقولون) نزلت فيمن تقدم بملاحين لم يحرم الخمر فقرأ أعبد ما تعبدون (ولا) تقربوا الصلاة ولا موضعها وهو المسجد الذى يبنى لها (جنبا الا عابرى سبيل) مارين للابث وتأويله بالمسافر يوجب التكرار (حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى أو) راكبين (على) ظهر (سفر) جنبا (او) محدثين (جاء أحد منكم من الغائط) وفى معناه خروج شئ من أحد السبيلين (أو لامستم النساء) أو لمستكم بدليل لامستم فى قراءة أخرى والمراد تلامس البشرتين اذ هو سبب الخروج (فلم تجدوا ماء) اى ما علم تمكنوا من استعماله فلا تستحيوا من الله بل اعتذروا اليه بمزيد التذلل (فتيمموا) اى اقصدوا (صعيدا) اى ترابا ذا غبار وان فسر بما على وجه الارض يقيد به لقوله منه فى المائدة (طيبا) اى طاهرا (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) اذ تذليل الرأس افراط وتذليل الرجلين تفريط (ان الله كان عفوا) اى مجاوزا عنكم ترك الحياء فى الصلاة جنبا أو محدثين (غفورا) اى ساترا القبح جنايتكم وحدثكم ثم أشار الى ان ترك أهل الكتاب الحياء من الله من وجوه فقال (ألم تر) اى ألم تعلم يقينا كأنه رأى العين بالنظر (الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) لتدعوهم الى الايمان المستوجب للحياء من الله ومن الناس كيف لا يستحيون من الله اذ (يشترون الضلالة) اى يستبدلون الرشا المضلة بهدى الله (ويريدون) من عدم حيائهم من الناس (أن تضلوا السبيل) من قولهم بعد ما أراه الله اياكم (و) اعلمكم بعداوتهم اذ (الله أعلم بأعدائكم) فلا بد أن يعلمكم لئلا يؤثر قولهم فيكم (و) لو لم يعلمكم (كفى بالله وليا) يلى أمركم فلا يؤثر فيكم تلبيسهم (و) لو جادلوكم أو قاتلوكم (كفى بالله نصيرا) ولا يكفيكم ولاية الغير ولا نصره لانهم (من الذين هادوا) اى المشهورين بالتقدم فى العلم مع تلبيسهم اذ (يحرفون الكلم) بصرفه (عن مواضعه) بالتأويل الباطل أو بتغيير اللفظ (ويقولون) استخفافا بالنبى لو هموا انه لو كان نبيا لم يستخفوا به (سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك (و) يقولون أبلغ من ذلك وهو (اسمع) منا (غير مسمع) منك (و) يقولون أبلغ من ذلك وهو (راعنا) يريدون اسم الفاعل من الرعونة وهو الحماقة ويخيلون انا أردنا ارعنا بسمعك اى

تميل اليه (قوله تبارك اسمه تجسوا) تنقصوا (قوله تلقف) وتلقم وتلهم بمعنى واحد اى تبتلع ويقال تلقفه والتقفه اذا أخذه أخذا سريعا (قوله تجلى ربه للجبل) اى ظهر وبان ومنه سموا النهار اذا تجلى فضاءه ظهر وبان (قوله تأذن ربك) اى أعلم ربك وتفعل أتى بمعنى أفعل كقولهم وعدنى وتوعدنى (قوله عز وجل فلما تغشاها) علاها

اصرف سمعك الى كلامنا يقصدون (ليا) اى صرفا للكلام من وجه الى وجه (بألسنتهم) مع استقرارهم على الوجه الفاسد بالقلوب (و) يقصدون بذلك (طعنا فى الدين) اذ يقولون لاصحابه نحن نشتمه ولا يفهم ولو كان نبيا لفهم لكنهم علموا نبوته (و) علموا (لو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع) مناشبها لتمالتزيلها (وانظرنا) بدل راعنا المحتمل للمعنى الفاسد (لكان خيرا لهم وأقوم) فى الدنيا بحقن أموالهم ودمائهم وعلو رتبتهم باحاطة الكتب السماوية وفى الآخرة بضعف الثواب (ولكن لعنهم الله) اى طردهم عن رحمته فمنعهم من التكلم بما يوجبها (بكفرهم) ببعض ما فى كتبهم وان ادعوا الايمان بها (فلا يؤمنون) بما فيها (الا قليلا) وهو ما وافق أهويتهم دون ما خالفها (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) لتؤمنوا به نظرا الى معجزات من أتى به (آمنوا بما نزلنا) اى بالغا فى اعجازه بتنزيله مفرقا فعجز الكل عن الاتيان بمفرقاته مع تضمنه وجها آخر من الاعجاز وهو كونه (مصدقا لما معكم) وان جعلتموه مكذبا له بتحريفه (من قبل أن نطمس وجوها) نمحو تخطيط صورها (فنردها على) هيئة (أدبارها) جزاء على التحريف لبعض الكتاب (أو) نفعل بهم أبلغ من ذلك وهو ان (نلعنهم) اى نطردهم عن الانسانية بالمسخ الكلى جزاء على اعتدائهم بترك الايمان بما هو معجزة فى نفسه مع ايمانهم بما ليس بمعجز (كما لعنا أصحاب السبت) بالمسخ الكلى جزاء على اعتدائهم على السبت الذى هو دون هذا الكتاب المعجز (وكان أمر الله مفعولا) لو اتفقوا على ترك الايمان به ومن لم يفعل به ذلك فى الدنيا مع اصراره على ترك الايمان به فلابد أن يفعل به فى الآخرة بشركه اذ حرف الكلم عن مواضعه ثم نسبه الى الله فكأنه جعل نفسه القائلة به الها ونسب خلق المعجزات التى ظهرت على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غير الله مع انه لا تتأتى الا ممن له قدرة كاملة وليس الا الاله (ان الله لا يغفر أن يشرك به) كما لا يغفر مالك الدنيا من أشرك بهم فى ملكهم (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فجاز أن يغفر لكم رشاكم لو آمنتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتحريفكم لو رجعتم الى المنزل وكيف يغفر للمشرك (ومن يشرك بالله فقد افترى) اى قصد (اثما عظيما) تقتضى الحكمة التعذيب عليه بأعظم الوجوه وهو التخليد فى النار ثم أشار الى انهم انما يجترؤن على التحريف وترك الايمان بالكتاب المبالغ فى اعجازه لزعمهم ان سيأتيهم مكفرة فقال (ألم تر الى الذين يزكون) اى يطهرون من عند أنفسهم من غير نص الهى (أنفسهم) عن الذنوب اذ يزعمون أن أعمالهم بالليل تكفر بالنهار وبالنهار تكفر بالليل وليس لهم ذلك (بل الله يزكى) بالتنصيص (من يشاء) وقد نص على انهم (لا يظلمون فتيلا) اى مقدار فتيل وهو اسم لما فى شق النواة والقطمير للقشرة التى على النواة والنقير للنقطة التى على ظهر النواة وهو انما يدل على انهم لا يزاد عذابهم على قدر استحقاقهم لكنهم قالوا ما يخالف هذا النص ونسبوه الى الله افتراء على الله (انظر كيف يفترون) اى يتعمدون (على الله الكذب وكفى به) اى بافترائهم على الله (اثما مبينا) لكونهم غير مكترثين مرجهة الله ثم أشار الى انهم كما اجترؤا على تحريف كتاب الله اعتمادا على

بالنكاح (قوله تصديه) اى تصفيق وهو أن يضرب احدى يديه على الاخرى فيخرج بينهما صوت (قوله تعالى تفشلوا وتذهب ريحكم) اى تجبنوا وتذهب دولتكم (قوله تعالى تتفقهم فى الحرب) اى تطفرت بهم (قوله عز وجل تفتق الافى الفتنة سقطوا) اى توقعنى الاثم وقعوا (قوله عز وجل تزهق انفسهم) تهلك وتبطل

ما افتروا من كونهم مزكين اجتروا أيضا على عبادة الاصنام وترجيح دين عبدتهم على دين الموحدين بذلك أيضا فقال (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) الداعى الى التوحيد وترجيح أهله والكفر بالجبت والطاغوت (يؤمنون بالجبت) اى الاوثان (والطاغوت) اى الشيطان الداعى الى الطغيان بتعلقه بالاوثان (ويقولون للذين كفروا) اى اشركوا بالله (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا) بالله وحده (سبيلا) نزلت فى حيى بن أخطب وكعب بن الاشرف خرجا فى جماعة الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أقرب الى محمد منكم الينا لانكم أهل الكتاب فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا وقال أبو سفيان لكعب انك تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون ولا نعلم فاينا اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب اعرض على دينك قال فنحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم ودينا القديم ودينه الحديث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد (أولئك الذين لعنهم الله) بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتابه فجرهم الى عبادة الاصنام وترجيح الشرك على التوحيد (و) لم يدفع عنهم لعنه الله قراءتهم للتوراة لانه (من يلعن الله فلن تجد له نصيرا) يدفع عنه لعنة الله ألهم نصيب من الدين يأمرونهم بعبادة الجبت والطاغوت (ام لهم نصيب من الملك) يحفظونه لعبادتهما (فاذا) أى فلو كان لهم ذلك لافسدوا دينهم ودنياهم لانهم (لا يؤتون الناس) كلهم (نقيرا) أى واحدا وهو ما يوازى نقرة ظهر النواة كما انهم لما كان لهم نصيب من الكتاب لم يعطوا الناس شيأ من الارشاد مخافة ان يقطع عنهم الرشا أيحاربون الناس على ما آتاهم الله من فضله محاربة الملوك (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) وهو النبوة والرشد فيتمنون زواله مع ان الفضل الموروث لا يحسد عليه غالبا وفضل محمد صلى الله عليه وسلم موروث (فقد آتينا آل ابراهيم) الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب والحكمة) اى العلم الظاهر والباطن (و) لو زعموا أنهم لا يحسدون ايتاء الكتاب والحكمة بل تملكه علينا المبطل لرياستنا ورشانا فقد (آتيناهم ملكا عظيما) ليقوموا باصلاح العالم كله وكذلك آتينا محمدا الكل علم بذلك اليهود كلهم وان اختلفوا (فمنهم من آمن به) فاذعن لعلمه (ومنهم من) بالغ فى العناد حتى (صد) الناس (عنه) فمكان عنادهم للعلم عناد المنزل موجبا لغضبه المسعر جهنم عليهم (وكفى بجهنم سعيرا) اى مسعورة عليهم ان لم يعذبوا فى الدنيا وكيف لا وهى لكل كافر (ان الذين كفروا بآياتنا) بتحريف أو بتكذيب للبعض لاستلزامه تكذيب الكل وان لم يصدوا الغير (سوف نصليهم نارا) ولا صلى الا بتسعيرها وكيف لا تكفيهم وهم يتألمون بها دائما لانهم (كلما نضجت جلودهم) أى احترقت احتراقا تاما (بدلناهم جلودا غيرها) أى جعلنا جلودهم المحترقة غير محترقة كان بدلناها جلودا اخر (ليذوقوا) أى ليحسوا بعد الاحتراق المانع من الاحساس (العذاب) فيدوم لهم (ان الله كان عزيزا) لا يمتنع عليه

(قوله عز وجل تزيغ قلوب فريق منهم) اى تميل عن الحق (قوله تغيض) تسيل (قوله عز وجل فتلوا) اى تقرأ وتتلوا اى تتبع أيضا (قوله عز وجل تبلوا) اى تختبر (ترهقهم) اى تغشاهم ومنه قولهم غلام مراهق اى قد غشاه الاحتلام (قوله عز وجل تبديل الشئ) عن تغيير) اى تبديل الشئ عن حاله والابدال جعل الشئ مكان شئ (قوله تخرصون) تحدسون وتحزرون

مايريد من جعله المحترق غير محترق وغيره (حكيما) فى هذا التبديل اذ لا يتم تخليد العذاب الموعود على الكفر الذى لا ينزجرون عنه بالعذاب المنقطع وعدا لابد من ايفائه على انه لو جاز كون الوعيد تخويفا جاز كون الوعد ترغيبا (و) ليس كذلك بل (الذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم) بمقتضى الوعد الذى لا مدخل للخلف فيه وفاقا (جنات تجرى من تحتها الانهار) كما يجرى من تحت نارهم انهار الدم (خالدين فيها أبدا) خلودهم بتجديد الجلود وهذا وان كان كافيا فى المقابلة يتفضل عليهم فيكون (لهم فيها أزواج مطهرة) تماما للتلذذ بالجنات والانهار (وندخلهم ظلا ظليلا) لا تنسخه الشمس لئلا تنقص الحرارة شيأ من لذاتهم كما لا ينقص الاحتراق شيأ من آلامهم ثم أشار الى ان مما يوجب ادخال الجنات والازواج المطهرة والظل الظليل رد الامانات واقامة العدل فقال (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) اذ فيه ادخال السرور فى قلوبهم وايصال محبوبهم اليهم واطفاء حرارة قلوبهم (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) لانه وان كان فيه ادخال الغم فى قلوب الظلمة وقطع محبوبهم عنهم وايقاد نار غضبهم ففيه ادخال السرور على قلوب المظلومين وايصال محبوبهم اليهم واطفاء نار الفتنة التى بينهم وبين الظلمة (ان الله نعما يعظكم) اى يخوفكم عن ضد ذلك (به) اى بهذا الامر المتضمن للنهى عن الضد (ان الله كان سميعا) لاقوالكم فى الامانات والاحكام (بصيرا) بافعالكم فيهما فان سمع ورأى خيرا جازاكم عليه خير الجزاء وان سمع ورأى شرا جازاكم عليه حقا لنفسه وراعى حق الخلق وكما أمر الحكام بالعدل أمر الرعية بقبوله فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم قبول العدل (أطيعوا الله) الذى أسس قواعد العدل (وأطيعوا الرسول) الذى بينها (وأولى الأمر) وهم الحكام وان كانوا (منكم) لايظهر لهم مزيد فضل عليكم لقيامهم بالعدل (فان تنازعتم) انتم وأولوا الامر (فى شئ) من الاحكام (فردوه الى) كتاب (الله و) الى سنة (الرسول) لا الى ماتهوون ولا الى مايهواه الحكام (ان كنتم تؤمنون بالله) الواضع لقواعد العدل (واليوم الآخر) الذى يجازى فيه الموافق والمخالف لتلك القواعد (ذلك خير) لكم ولحكامكم (و) ان رأيتموه شرا فى الحال فذلك (أحسن تأويلا) عاقبة لكم ولهم ثم أشار الى ان اطاعة الله واطاعة الرسول وأولى الامر انما تتم بالتحاكم اليهم لا الى من يدعو الى الطغيان فانه من علامات الكفر فقال (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) ومقتضى ذلك الانقياد لقواعد المنزل اليك والمنزل على من قبلك بالتحاكم اليك (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) اى الداعى الى الطغيان بالحكم على خلاف قواعد المنزل اليك والمنزل على من قبلك (وقد أمروا) فى جميع تلك الكتب (أن يكفروا به) لانه تحاكم على خلاف ما أنزل الله فى كتبه فيعصونه (و) يطيعون الشيطان اذ (يريد الشيطان) من الجن والانس (أن يضلهم ضلالا بعيدا) عن أديان جميع الرسل المنسوخ والناسخ جميعا نزلت فى منافق خاصم يهوديا فدعاه الى النبى صلى الله عليه وسلم لعلمه انه لا يرتشى ولا يجور والمنافق

(قوله عز وجل تلفتنا) اى تصرفنا والالتفات الانصراف عما كنت مقبلا عليه (تزدرى أعينكم) يقال ازدرى به وازدراه اذا قصر به وزرى عليه اذا عاب عليه فعله (قوله تتيب) تخسيرا اى نقصان ومعنى قوله (فما تزيدونني غير تخسير) اى كلما دعوتكم الى هدى ازددتم تكذيبا فزادت

الى كعب بن الاشرف من شياطين اليهود لعلمه انه يرتشى ثم انهما تحاكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودى فلم يرض المنافق فدعاه الى عمر فقال له اليهودى قضى لى محمد فلم يرض بقضائه فقال للمنافق أهكذا قال نعم قال مكانكما حتى أخرج اليكما فأخذ سيفه فضرب عنق المنافق وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق (و) يدل على بعد اضلالهم انهم (اذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله) فى الكتب التى تدعون الايمان بها (والى الرسول) القائم بها (رأيت المنافقين يصدون) أى يمنعون خصومهم فيبعدونهم (عنك صدودا) بليغا ليتمكنوا مما يريدونه بالرشوة ولو دفعوا عن أنفسهم ضررها فى التحاكم اليك (فكيف) يدفعون ما يصيبهم فى التحاكم الى غيرك بل غايتهم انهم (اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم) من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك كقتل عمر المنافق تكلفوا اعتذارا كاذبا (ثم جاؤك يحلفون بالله) كذبا (ان اردنا) أى ما أردنا بذلك التحاكم (الا احسانا) من الخصم الى صاحبنا (وتوفيقا) بالصلح بيننا وبينه (اولئك) بعداء عن هذه الارادة وان ذكروها لك بل فى قلوبهم أن يميل من يتحاكمون اليه الى جانبهم بالرشوة وهم (الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق والميل الى الباطل فهم وان ظهر اسلامهم وأظهروا عذرهم بحلفهم (فأعرض عنهم) اذ طلبوا القصاص (وعظهم) اى خوفهم من أن يجرى عليهم أحكام الكفر (وقل لهم) ما يؤثر (فى أنفسهم قولا بليغا) فى التأثير ليصيروا مجروحين بعد ما صار صاحبهم مقتولا وكيف لا يكون ترك الرضا بحكمه دليل النفاق وهو مشعر بعدم وجوب طاعته (و) لكن (ما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) فطاعته واجبة وانكار وجوبها كفر ثم أشار الى انه لغاية عظم هذا الكفر لا ينبغى لهم أن يعتمدوا على استغفارهم بل لا بد لهم من طلب الاستغفار من الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا (و) لا ينبغى لهم أن ييأسوا وان بلغ ذنبهم ما بلغ بل يجب ان يعتقدوا (لو انهم اذ ظلموا أنفسهم) هذا الظلم العظيم غاية العظم (جاؤك) لطلب الاستغفار منك مع استغفارهم (فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول) فكان استغفاره عليه السلام شفاعة لقبول استغفارهم (لوجدوا) أى لعلموا (الله توابا) أى قابلا لتوبتهم (رحيما) أى متفضلا عليهم بالرحمة وراء قبول التوبة لكنهم لا يبالون باستغفارك ويستمرون على عدم رضاهم بحكمك (فلا) ايمان لهم فى الحال (وربك لا يؤمنون) فى الاستقبال (حتى يحكموك) أى يجعلوك الحاكم لا غيرك (فيما شجر) أى اختلط (بينهم) لتصفى قلوبهم (ثم لا يجدوا فى أنفسهم) اى باطنهم (حرجا) اى ضيقا (مما قضيت) اى من كراهتهم حكمك (ويسلموا) اى يذعنوا لحكمك (تسليما) تاما فالنفاق انما يرتفع بالكلية حينئذ ولا تبقى منه بقية فى قلوبهم تجرهم الى استكماله فيما بعد لرسوخه فى قلوبهم غاية الرسوخ ثم أشار الى ان التسليم الكلى انما يكون بالاذعان لامر قتل النفس أو لامر الخروج من الديار (و) لكن (لو أنا كتبنا عليهم) جازمين (ان اقتلوا أنفسكم أو) أمرناهم مما يقرب منه وهو ان (اخرجوا من دياركم ما فعلوه) بل نافق من لا ينافق اليوم (الا قليل منهم) لكمال اخلاصهم

خسارتكم (قوله عزوجل ترى الى الذين ظلموا) اى تطمئنوا اليهم وتسكنوا الى قولهم ومنه قوله عز وجل لقد كدت تركن اليهم (قوله عزوجل تعبرون) اى تفسرون الرؤيا (تأويل الاحاديث) تفسير الرؤيا (قوله عزوجل ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله) اى رغبت عنها والترك على ضربين أحدهما

واذعانهم ولذلك لا تأمرهم الا بما يسهل عليهم ومع ذلك يخرجون لخالفة أهويتهم (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به) أى يخوفون بالامر به عن تركه (لكان خيرا لهم) من حصول أهويتهم لانه سبب فوات الباقى الشريف بالفانى الخسيس (وأشد تثبيتا) لدينهم ودنياهم اذ يخاف من متابعة الهوى الجرة الى الكفر والحاكم اذا مال الى الرشوة ربما يكون الخصم أكثر اعطاءلها (و) لا تقتصر فى حقهم على حظ الباقى من ثواب سائر الاعمال بل (اذا لآتيناهم من لدنا) مما يناسب عظمتنا (أجرا عظيما) فى الدنيا والآخرة على اذعانهم لاحكامنا (ولهديناهم صراطا مستقيما) يكون سببا لعظم الاجر من وجوه كثيرة ثم أشار الى انه يحصل لهم مع الاجور مراتب القرب فقال (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) بالتقرب منه (من النبيين) الذين أنبأهم الله أكمل الاعتقادات والاحكام وأمرهم بانبائها الخلق كلا بمقدار استعداده وهذا لمن جاوز حد الكمال الى التكميل (والصديقين) الذين كملت مطابقة علمهم لتلك الاعتقادات والاحكام لمشاهدتهم لها فى مشكاة النبوة عن قرب وكملت مطابقة أعمالهم الظاهرة والباطنة لها وهذا لمن كان فى أعلى مراتب الكمال ولم يبلغ حد التكميل (والشهداء) الذين شاهدوا الحقائق عن بعد وهذا لمن كان فى أوسط درجات الكمال (والصالحين) الذين صلحت اعتقاداتهم وأعمالهم لافادة النجاة وهذا لعامة أهل الطاعة (وحسن أولئك رفيقا) فى قطع منازل مزيد القرب من الله (ذلك) الرفق هو (الفضل من الله) بعد انقطاع أسباب العمل (وكفى بالله عليما) بمقدار هذا الفضل لا يعلمه غيره لانه أمر غير متناه فلا يصل اليه علم الخلائق المتناهى ثم أشار الى ان اجل الطاعات الموجبة مرافقة المذكورين الجهاد الذى هو قتل النفس والخروج عن الديار الى مكان الاعداء وقدم التحرز عن القاء النفس فى التهلكة فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم جهاد الاعداء وقدموا وقاية ابدانكم (خذوا حذركم) أى ما تتحرزون به المطاعن من الدروع والتروس والاسلحة (فانفروا) أى اخرجوا (ثبات) أى متفرقين سرية بعد سرية اظهارا للجراءة (أو انفروا جميعا) ايقاعا للمهابة بتكثير السواد ومبالغة فى التحرز عن الخطر (وان منكم) يا جماعة المبالغين فى التحرز (لمن) والله (ليبطئن) اى ليتأخرن عن الخروج مع الجماعة أيضا زيادة عن حد التحرز لنفاقه (فان أصابتكم مصيبة) قتل أو هزيمة (قال) معجبا برأيه (قد أنعم الله على) بهذا الرأى اذ لم يصبنى ما أصابهم (اذ لم أكن معهم شهيدا) اى حاضرا للحرب (ولئن أصابكم فضل) فتح وغنيمة (من الله ليقولن) تحسرا على رأيه بحيث لا يعارضه فرح ما حصل لاخوانه لانه لا يعتد بمودتهم بل يرى (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فأفوز) بالغنيمة واسم الشجاعة (فوزا عظيما) فهؤلاء انما يقاتلون فى سبيل الغنيمة ويرونها كل الفوز فاذا فقدوها رأوه فى حياتهم الدنيوية (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون) أى يبيعون (الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل) فيتحقق بيعه (أو يغلب) فانه وان لم يؤد المبيع الى الله تعالى لكنه لما قصده صار كالمؤدى (فسوف

مفارقة ما يكون الانسان فيه والآخر ترك الشئ رغبة عنه من غير دخول كان فيه (قوله تعالى تبتئس) اى تفتعل من البؤس وهو الفقر والشدة اى لا يلحقك بؤس بالذى فعلوا (قوله تالله) بمعنى والله قلبت الواو تاء مع اسم الله دون سائر أسمائه (قوله عز وجل تفقدون تذكر

توتيه) على قصده بذل مهجته فى سبيل الله (أجرا عظيما) لانسبة لاجور الدنيا وحياتها ولا لاجور أكثر الاعمال اليها ثم أشار الى ان الله عز وجل لم يعدكم الاجر العظيم لوجب عليكم القتال فقال (ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله) وهو بنفسه سبب التقرب اليه وهو أجل من جميع الاجور (و) فى استخلاص (المستضعفين) لذين هم كانفسكم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لضعفهم عن الهجرة (من الرجال) الضعفاء بالمرض أو الهرم (والنساء والولدان الذين يقولون) من ايذاء أهل مكة واذلالهم اياهم (ربنا أخرجنا من هذه القرية) وان كانت أشرف البقاع (الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا) يحفظ علينا ديننا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يدفع عنا اذيات اعدائنا (الذين آمنوا) لاقتضاء ايمانهم سلوك سبيل الله وحفظه والترحم على أهله (يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) أى الشيطان الآمر بغاية الطغيان كايذاء المستضعفين من المؤمنين وقتال اقوبائهم محبة الشيطان (فقاتلوا) يا حبباء الله (أولياء الشيطان) الذين يعادون الله لعداوته ولانه الوا لكيده وان بالغ فى الكيد لاوليائه (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) لانسبة له الى كيد الله لكم ثم أشار الى انهم لم يكونوا يبالون لهم زمان ضعف حالهم فلما قويت حالهم ضعفوا فقال (ألم تر الى الذين قيل لهم) عند استئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال قبل الهجرة وهم بمكة (كفوا أيديكم) عن القتال فانكم لم تؤمروا به لضعفكم (واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) فانهما جهاد أكبر (فلما كتب عليهم القتال) حين قوى حالهم (اذا فريق منهم) لرؤية ضعفهم الآن ولم يروه قبل ذلك (يخشون الناس) فى القتال (كخشية الله) فى تركه فيترددون بينهما (أو أشد خشية) فيرجحون تركه (وقالوا) معترضين على الله (ربنا لم كتبت علينا القتال) مع اننا ضعفاء وان رأيت قوتنا تزداد يوما فيوما (لولا أخرتنا الى أجل قريب) يكمل فيه قوتنا (قل) لكم قوة كافية ولكنكم تخافون فوات متاع الدنيا مع انه لاينبغى لكم ان تبالوا له عند أمر الله بالقتال اذ (متاع الدنيا قليل) مع انه يحصل بدله الحياة الاخروية (والآخرة خير لمن اتقى) الله فيرجح خشيته على خشية الناس (ولا تظلمون) اى لاتنقصون من أجوركم ولا من أعماركم ومتاعكم (فتيلا) اى مقدار شق النواة ولا يوقف موتكم عند الاجل على القتال بل (أينما تكونوا) أى فى أى مكان تكونوا عند الاجل (يدركم الموت ولو كنتم فى بروج) اى حصون (مشيدة) مرفوعة مستحكمة لايصل اليها القاتل الانسانى لكنها لاتمنع القاتل الالهى وان أنكرتموه اذ لاتنسبون اليه الشر وانما تنسبون اليه الخير (و) ذلك لانهم (ان تصبهم حسنة) كخصب (يقولوا هذه من عند الله) اى من قبله (وان تصبهم سيئة) كقحط (يقولوا هذه من عندك) بشؤمك قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها (قل كل) من الحسنة والسيئة (من عند الله) ايجادا اذ الاله واحد فيجب أن يتحد فاعل الخير والشر وقد عملوا ذلك (فمال هؤلاء القوم) الذين يزعمون انهم

يؤمنون

يوسف) اى لاتزال تذكر يوسف وجواب القسم لا المضمرة التى تأويلها تالله لاتفتأ (قوله تحسسوا) وتجسسوا بمعنى واحد اى تعرفوا وتخبروا (قوله تثريب) اى تعيير وتوبيخ (قوله تغيض الارحام) اى تنقص عن مقدار الحمل الذى يسلم معه الولد يقال غاض الماء اذا نقص وغيض اذا نقص منه (قوله تهوى اليهم) اى تقصدهم

يؤمنون بوحدة الصانع (لا يكادون يفقهون حديثا) يفاقهونه فلا يعلمون ما فيه من نقص الاقرار بوحدة الصانع ولو زعموا انتظرنا الى الاسباب نقول (ما أصابك من حسنة فمن الله) ابتداء اذ الطاعات لا تكافئ نعمة الوجود فكيف تقتضي الزيادة (وما أصابك من سيئة فمن) شؤم معاصي (نفسك) لا من شؤم معاصي الغير اذ هو خلاف مقتضى العدل الالهي ولو أثر شؤم أحد في غيره فمن أين يتصور لك الشؤم (و) قد (أرسلناك) نافعا (للناس) اذ جعلناك (رسولا) داعيا في العموم الى الخيرات فأنت منشأ كل خير ورحمة (و) ان أنكروا رسالتك وزعموا ان السيئة من شؤم افترائك على الله (كفى بالله شهيدا) بصدقك اذ صدقك باظهار المعجزات على يديك واذا ثبت رسالتك فالميمن في طاعتك والشؤم في مخالفتك لان (من يطع الرسول فقد أطاع الله) واطاعة الله والرسول للميمن (ومن تولى) كان له من الشؤمية ما لا يقدر على دفعها فأنت وان أرسلت لعموم الرحمة (فما أرسلناك عليهم حفيظا) عن المعاصي المستلزمة للشؤم (ويقولون) اى المنافقون لدفع شؤمهم من هذا الوجه الحاصل منا (طاعة) وهم انما يقولونه اذا كانوا عندك (فاذا برزوا) اى خرجوا (من عندك بيت) اى فعلت على اخفاء منك (طائفة منهم غير الذى تقول و) لا يقتصر على مخالفة القول بالقول أو باضمار الخلاف بل (الله يكتب) اى يثبت (ما يبيتون) ليؤثر شؤمها فيهم واذا نسب الله اليهم الشؤم ونسبوه اليك (فاعرض عنهم) فلا تبال لنسبتهم (وتوكل) فى دفعها (على الله) لئلا تهتم بها فى قلوب الخلائق (وكفى بالله وكيلا) فى دفعها وان بالغوا فى اشاعتها (أ) ينكرون نبوتك وينسبون اليك لافتراء على الله المستلزم للشؤم (فلا يتدبرون القرآن) ليعرفوا اعجازه الذى لا دخل للسحر فيه من وافقته للعلوم واشتماله على فوائد منها وكمال حجيه وبلاغته العلماء ومواقفة أحكامه للحكمة واخباره الماضية لكتب الاولين والمستقبلة للواقع (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) من مخالفة العلوم الكثيرة ومخالفة فوائده لها والتناقض فيها وبلوغ بعض حجيه حد التمام دون البعض وموافقة بعض أحكامه للحكمة دون البعض وبعض أخباره الماضية لكتب الاولين دون البعض وبعض أخباره المستقبل للواقع دون البعض (و) لو وجدوا فيه اختلافا فاشوه لما علم من عاداتهم انهم (اذا جاءهم) من سرايا الرسول (أمر من الامن أو الخوف) تحدثوا به حتى (أذاعوا به) اى أفشوه وكان مفسدة لهم (ولو ردوه الى) رأى (الرسول والى) كبار الصحابة (أولى الامر منهم لعلمه) اى التدبر فيه (الذين يستنبطونه) اى يستخرجونه استخراج النبط وهو الماء من البئر فلو وجدوا فى القرآن ما يوهم الاختلاف لوجب عليهم استفسار الرسول والعلماء الذين هم أولوا الامر ليعلمه (منهم) المجتهدون فى استنباط وجوه التوفيق (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بارسال الرسول وخلق أولى الامر المستنبطين للتدابير ووجوه التوفيق (لاتبعتم الشيطان) من عجزكم مع الكفرة المختالين وحيرتكم فى مواضع توهم الاختلاف (الا قليلا) فيتحملون اذية الكفار ويفوضون فى مواضع التوهم الامر الى الله ولم يأخذوا بالاوهام

وتهوى اليهم بجهنم وتهواهم (قوله تسرحون) اى ترسلون الابل غداة الى الرعى وتريحون تردونها عشيا الى مراحها (قوله تحرك عز وجل تميد) وتميل (قوله تبارك اسمه وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم) اى لئلا تميد بكم (قوله تخوف) اى تنقص (قوله عز وجل)

الفاسدة واذا عجزوا عن معارضة القرآن بما يلزمهم من كثرة الاختلاف ولم يظهر عجزهم عن القتال مع ان فى تركه متابعة الاكثرين للشيطان (فقاتل فى سبيل الله) وان لم يساعدك احد اذ (لا تكلف الا نفسك و) لكن (حرض المؤمنين) اى رغبهم فاحملهم على القتال (عسى الله أن) يجزهم كما عجزهم بالقرآن بان (يكف) اى يمنع عن التأثير (بأس) اى شدة (الذين كفروا) مع بقاء شدتهم فى أنفسها (و) لو بقى لها أثر فى أنفسهم لم يبق لها مع بأس الله اذ (الله أشد بأسا) اى صولة (و) لا يبعد أن يشتد بأسه عليهم وهم قد استحقوا شدة العذاب وهو (أشد تنكيلا) اى تعذيبا ثم أشار الى ان التحريض على القتال شفاعة فى تكفير الكبائر ورفع الدرجات فقال (من يشفع شفاعة حسنة) كحمل المؤمنين على قتال الكفار (يكن له نصيب منها) اذ يحصل له مثل أجر المجاهد (ومن يشفع شفاعة سيئة) كحمل الكفار على قتال المؤمنين (يكن له كفل منها) اى يحصل له مثل وزر من عمل بها (وكان الله) غالبا (على كل شئ مقيتا) اى معطيا قوة كل واحد من العامل والحامل على العمل من الاجر أو الوزر من غير أن ينقص من اجر صاحبه أو وزره شيأ ثم أشار الى انه كما يكون للشفيع نصيب من شفاعته يكون للمحيى نصيب من تحيته لانه يتوصل بها الى المودة كالشفيع لنفسه فقال (واذا حييتم) اى اذا سلم عليكم فدعى لسلامة حياتكم وصفاتكم التى بها كمال الحياة (بتحية) فقيل السلام عليكم (فحيوا بأحسن منها) بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ولو قالها المسلم زيد وبركاته (أو ردوها) نقولوا مثل ما قال أداء لحقه فانه محسوب عليكم لو لم تردوه ولو زدتم حوسب فى أجوركم (ان الله كان) ناظرا (على كل شئ حسيبا) معطيا للجزاء بحسب الحقوق والزيادات اذ يقتضيه كمال جوده لكمال ذاته وصفاته لانه (الله) الجامع للكمالات بحيث لا يشارك فيها اذ (لا اله الا هو) وكماله يقتضى تكميل الاشياء بظهوره فيها ولا يتم الا بظهور جميعه ولا يظهر الا يوم القيامة لغاية سعته دون الدنيا الضيقة لكن القيامة مرتبة على الدنيا والبرزخ فوالله (ليجمعنكم) فى الدنيا والبرزخ (الى يوم القيامة) المقتضى ظهور جميعه لذلك (لا ريب فيه و) هو وان لم ينته الى حد الايجاب لكن أوجبه اخبار الله عنه لانه (من أصدق من الله حديثا) لانه عبارة كلامه الازلى الذى لا دخل للكذب فيه لانه نقص والغير وان دلت الدلائل على صدقه فكذبه ممكن اذا لم ينظر اليها ولما كان الامر الاخروى مرتبا على الدنيا لم يخل عن مظهر كامل كالرسول والولى واكمل مظاهره أكمل الرسل وأكمل الامم فى المظهرية أمته فحقكم ان تكونوا اعلم ما فى العالم وشهداء الله فى أرض الله (فما) ذا عرض (لكم) اذ افترقتم (فى) حق (المنافقين فئتين و) كان حقكم الاجماع على نفاقهم اذ (الله أركسهم) اى ردهم الى الكفر منكوسين (بما كسبوا) من لحوقهم بالكفار وهم الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلم يزالوا يتحاولون مرحلة بعد أخرى حتى لحقوا المشركين (أتريدون) بالقول يقينهم على الاسلام (أن تهدوا من أضل الله و) لو فرض انكم تقدرون على خلاف مراده لم يكن لكم سبيل الى هدايتهم لانه

(من

تقفيا ظلاله) اى ترجع من جانب الى جانب (قوله تقف ما ليس لك به علم) اى تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك (قوله تمذير) اى تفريق ومنه قولهم بذرت الارض اى فرقت البذر فيها اى الحب والتبذير فى النفقة هو الاسراف فيها وتفريقها فى غير ما أحل الله قوله عز وجل ان المبذرين كانوا

(من يضلل الله) مع كمال جوده (فلن تجد له سبيلا) الى الهداية والا لوجده الله فهداه بمقتضى كمال جوده وكيف يكون لهم اليها سبيل وقد أرادوا عموم الضلالة لانهم (ودوا لو تكفرون) اى احبوا كفركم (كما كفروا) اى مثل كفرهم بعد الايمان (فتكونون سواء) لاتعارضون ولاتقاتلون واذا كانوا يودون كفركم (فلا تتخذوا منهم أولياء) لئلا يفضى الى كفركم وان أظهروا لكم الايمان طلبا لموالاتكم (حتى يهاجروا) من دار الكفر (فى سبيل الله) لا فى سبيل الشيطان لقتال المسلمين (فان تولوا) عن الهجرة فهم وان أظهروا لكم الاسلام مع قدرتهم على الهجرة فافعلوا بهم ما تفعلون بالكفار لانه زال عنهم حكم النفاق بلحوق دار الكفر (فخذوهم) اى أسروهم (واقتلوهم حيث وجدتموهم) فى دار الكفر أو خارجين عنها الا للهجرة الى دار الاسلام (ولا تتخذوا منهم وليا) وان أظهروا لكم موالاتهم (ولا نصيرا) وان زعموا انهم يدفعون عنكم الكفار ثم استثنى عن اسر المرتدين وقتلهم بقوله (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد بهدنة أو امان لئلا يفضى الى قتال من وصلوا اليهم فيفضى الى نقض الميثاق كخزاعة واسلم وادع عليه السلام هلال بن عويم الاسلمى خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله (او) يصلون الى قوم لا عهد لهم ولكن (جاؤكم) تاركين للقتال مع قومهم عليه لانه (حصرت) اى ضاقت (صدورهم) لرؤيتهم عجزهم عن (أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) من أجلكم وهم بنو مدلج فمنع من قتال من وصل اليهم لانه يفضى الى قتالهم المظهر لقوتهم الخفية (و) ذلك لكونهم أقوياء فى أنفسهم بحيث (لو شاء الله لسلطهم عليكم) ولو قاتلتموهم (فلقاتلوكم فان اعتزلوكم) بعد لحوق المرتدين بهم وتقويتهم لهم (فلم يقاتلوكم) وان ظهرت لهم بعض القوة (و) لم يعينوا معكم قتالا بل (القوا اليكم السلم) الانقياد الذى كانوا عليه قبل ظهور القوة لهم (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) فى الاسر والقتل اذ لا ضرر منهم فى الاسلام لا فى الحال ولا فى الاستقبال وقتالهم يظهر كمال قوتهم بخلاف المتوقع منهم الضرر فى الاستقبال المشار اليهم بقوله (ستجدون) أقواما (آخرين) هم أسد وغطفان وبنو عبد الدار (يريدون) باظهار الاسلام لكم (أن يأمنوكم) على أنفسهم (و) باظهار الكفران (يأمنوا قومهم) وليس اظهارهم الكفر لمحض التقية بل انما يظهرون الاسلام لذلك لانهم (كلما ردوا الى الفتنة) اى الارتداد (أركسوا فيها) اى ردوا منكوسين كان الرجل منهم يقول له قومه بماذا أسلمت فيقول آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب والخنفساء (فان لم يعتزلوكم) اى لم يتركوا الطعن فيكم فهم (و) ان (يلقوا اليكم السلم) اى الانقياد فزعموا انا على دينكم (ويكفوا أيديهم) عنكم فلم يقاتلوكم (فخذوهم) اى أسروهم (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) اى وجدتموهم فى داركم أو دارهم (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) اى حجة واضحة من جهة طعنهم فلا يعبأ بدعواهم الاسلام ولا بالقاء الصلح ولا بكف الايدى لان الطعن ضرر ناجز

اخوان الشياطين الاخوة اذا كانت فى غير الولادة كانت المشاكلة والاجتماع فى الفعل كقولك هذا الثوب اخو هذا اى يشبهه ومنه قوله عز وجل وما نريهم من آية الا هى أكبر من اختها اى من التى تشبهها وتوأمتها (قوله تعالى تخرق الارض) اى تقطعها اى تبلغ آخرها (قوله تهجدون) اى اسهر وهجدنى (قوله تبيعا) اى

وانقيادهم لمحض العجز فيتوقع منهم الضرر في المستقبل اذا تقووا ثم أشار الى ان المؤمن لا يجوز قتله الا بظهور الحجة عليه من الطعن أو اللحوق بدار الحرب مع القدرة على الهجرة فقال (و) لولا ذلك (ما كان) يصح (لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا) قتلا (خطأ) وهو ما لا يضامه القصد الى الفعل أو الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالبا أو لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه أو يفعل غير المكلف (ومن قتل مؤمنا خطأ) باحد هذه الوجوه فهو وان عفي عنه لكنه لا يخلو عن تقصير في حق الله ولا يهدر دم المؤمن بالكلية (فتحرير رقبة مؤمنة) اى فالواجب عليه لحق الله اعتاق نفس محكوم عليها بالاسلام ولو صغيرة ليعتق الله عنه بكل جزء منها جزأ منه من النار (و) لحق ورثته (دية مسلمة) اى مؤداة (الى أهله) اى ورثته يقسمونها اقتسام الميراث تجب على كل عاقلة القاتل وهم عصبة غير الاصول والفروع لانه لما عفي عن القاتل فلا وجه للاخذ منه وأصوله وفروعه اجزاؤه فالاخذ منهم أخذ منه ولا وجه لاهدار دم المؤمن فيؤخذ من عاقلته الذين يرثونه باقوى الجهات وهي العصبية لان الغرم بالغنم فان لم يكن له عاقلة أو كانوا فقراء فعلى بيت المال فان لم يكن ففي مال القاتل (الا أن يصدقوا) اى أن يعفو الورثة هذا اذا كانت الورثة مسلمين (فان كان) المقتول خطأ (من قوم عدو لكم) اى محاربين (وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) لحق الله وهو وان لم يكن مهدر الدم ديته ساقطة اذ لا حق للحربي (وان كان) المؤمن المقتول خطأ (من قوم) من الكفار (بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد من هدنة أو أمان (فدية مسلمة الى أهله) اذ هم كالمسلمين في الحقوق بل يقدم حقهم على حق الله لذلك أخر قوله (وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد) رقبة ولا ما يوصل به اليها (فصيام شهرين متتابعين) بحيث لو صام تسعة وخمسين وتعمد بافطار يوم استأنف الجميع لان الخطأ انما نشأ من كدورة النفس وهذا القدر يزيلها ويفيد التزكية فكانت (توبة من الله) ماحية لاثر خطئه بالكلية (وكان الله عليما) بمقدار كدورة هذا الخطأ العظيم (حكيما) في دواء ازالتها واذا كان للخطأ هذه الكدورة مع العفو عنه فأين كدورة العمد (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) بفعل يقتل غالبا قصده والشخص (فجزاؤه) ليس ماذكر ولا شئ آخر من شدائد الدنيا بل (جهنم) لامدة يسيرة بل طويلة بحيث يقال مجازا انه كان (خالدا فيها) كيف (و) قد (غضب الله عليه) اذ قتل وليه عمدا (و) أثر غضبه اللعنة لذلك (لعنه) أى أبعده عن الرحمة فلا يكاد يصل اليها الا بعد مدة طويلة جدا (و) لم يقتصر في حقه على جميع ذلك بل (أعد له) وراء ذلك (عذابا عظيما) فوق عذاب سائر الكبائر سوى الشرك وللاحتراز عن قتل المسلم عمدا لا يقتل كل من توهم فيه الكفر كما قال (يا أيها الذين آمنوا) ليس مقتضى ايمانكم من قتل توهمتم كفره بمجرد كونه في دار الكفر من غير لحوق بهم بعد الايمان ولا طعن في الدين لذلك (اذا ضربتم) أى ذهبتم (في سبيل الله) الى أرض العدو للغزو (فتبينوا) حال من تقاتلونه فمن تحققتم كفره فقاتلوه ومن توهمتم ايمانه فاتركوه (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام)

اى

تابعا مطالبا (قوله عز وجل تزاور) تمايل ولذلك قيل للكذب زور لانه أميل عن الحق (قوله عز وجل تقرضهم) تخلفهم وتجاوزهم (قوله تعالى تذروه الرياح) تفرقه (قوله لتخذت) بمعنى اتخذت (قوله عز وجل تنفد) اى تفنى (قوله تؤزهم أزا) اى تزعجهم ازعاجا (قوله عز وجل تجوروا بالقول) اى ترفع

أى الانقياد لدعوتكم فقال لا اله الا الله وسلم عليكم فحياكم بتحية الاسلام (لست مؤمنا) فى الباطن وانما قلته باللسان لطلب الامان (تبتغون) أى تطلبون بقتاله (عرض الحيوة الدنيا) أى ماله الذى هو سريع النفاد مع انه لا اضطرار لكم اليه (فعند الله) لكم (مغانم كثيرة) تغنيكم عن قتل أمثاله مع عدم اطلاعكم على البواطن ولو جوز قتله لكنتم جائزى القتل أول ما دخلتم فى الاسلام اذ (كذلك كنتم) لا يعلم مواطأة قلوبكم لالسنتكم (من قبل) أى قبل ظهور علامات اخلاصكم (فمن الله عليكم) بحقن دمائكم وأموالكم فافعلوا بالداخلين فى الاسلام مثل ما فعل الله بكم (فتبينوا) حاله بالتوقف الى ظهور علامة الكفر عليه بالرجوع اليهم أو الطعن فى دينكم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) هل تعملونه للاسلام أو لاجل المال روى أن سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فدك فهربوا فبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأغنمه بعاقول من الجبل وصعد وما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فنزلت وفيه دليل على أن المجتهد يخطئ وان خطأه معفو عنه ثم أشار الى أن وجوب الاحتياط لا ينافى الى ترجيح ترك الجهاد فقال (لا يستوى القاعدون) عن الجهاد (من المؤمنين غير أولى الضرر) العمى والعرج والفقر فانهم اذا قصدوا الجهاد على تقدير السلامة ساووا المجاهدين بالنية ولا يعتد بزيادة أجر العمل لهم لعظم أمر النية (والمجاهدون فى سبيل الله) لا فى سبيل الشيطان ولا رياء ولا طمعا فى الغنائم (بأموالهم) التى ينفقونها على أنفسهم فى الجهاد أو على مجاهد آخر (وأنفسهم) وان أنفق عليهم غيرهم اذا لم يكن عندهم مال وليس نفى التسوية لتفضيل القاعدين لاحتياطهم بل لانه (فضل الله المجاهدين) لانهم رجحوا جانبه (بأموالهم وأنفسهم) التى هى أعز عليهم من كل شئ (على القاعدين) غير أولى الضرر (درجة) فى القرب ممن رجحوا جانبه (و) لكن (كلا وعد الله الحسنى) أى الجنة (و) لكن ليسوا فيها بالتسوية اذ (فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) فوق أجر الايمان وسائر الاعمال حال كونه (درجات منه) من منازل الجنة أشير اليها بقوله عز وجل ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة الى قوله كتب لهم (ومغفرة) لذنوبهم كلها غير حقوق المسلمين (ورحمة) فوق الاجر ودرجاته بل درجة القرب المستحقة بالجهاد كيف (وكان الله غفورا رحيما) لمن لم يجاهد فى سبيله بماله ونفسه فكيف لا يغفر للمجاهد بهما ولا يرحمه ولما أوهم ما فهم مما تقدم من تساوى القاعدين أولى الضرر والمجاهدين أن من قعد عن الجهاد لكونه فى دار الكفر محسوب منهم وان عجز عن اظهار دينه فان لم يحسب فلا أقل من أن يحسب من القاعدين غير أولى الضرر الموعود لهم الحسنى أزيل ذلك الوهم بأنهم بترك الهجرة من مكان لا يمكنهم فيه اظهار دينهم مع امكان الخروج عنه صاروا ظالمين مستحقين لتوبيخ الملائكة بل لعذاب جهنم فقال (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) بترك الهجرة عن مكان لا يمكنهم فيه اظهار دينهم مع القدرة عليها (قالوا

صوتك (تردى) تهلك (قوله عز وجل تنبا) تفتقرا (قوله تعالى تظمأ) أى تعطش (قوله عز وجل تضحى) أى تبرز للشمس فتجد الحر (قوله تعالى تبهتهم) أى تفجأهم (قوله تعالى تقطعوا أمرهم بينهم) أى اختلفوا فى الاعتقاد والمذاهب (قوله تبارك اسمه تذهل) أى تسلو وتنسى (قوله عز وجل تنفث) أى تنظف

فيم كنتم) أى فى أى شئ من أمر دينكم كنتم (قالوا كنا) عاجزين عن اظهار الدين اذ كنا (مستضعفين فى الارض) أى أرض الاعداء (قالوا) لم يلجئكم الاعداء الى مساكنة ديارهم (ألم تكن أرض الله) التى يمكن فيها اظهار دينه (واسعة فتهاجروا) من مكان الاستضعاف المسكون (فيها) فاذا اختار وا مكان الاستضعاف (فأولئك مأواهم جهنم) لانهم الذين ضعفوا أنفسهم (وساءت مصيرا) بدل المصير الى دار الهجرة فهى واجبة على كل من لا يمكنه اظهار الدين بمكان الى مكان يمكنه فيه (الا المستضعفين من الرجال) لعمى أو عرج أو مرض أو فقر (والنساء والولدان) فانهم معذورون فى تركها لانهم (لا يستطيعون حيلة) فى الخروج (ولا يهتدون سبيلا) أى لا يعرفون طريق دار الهجرة (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) فيه اشعار بأن ترك الهجرة أمر خطير حتى ان المضطر حقه أن يترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وان الصبى اذا قدر فلا محيص له عنه وان قواهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم ثم أكد الاطماع لئلا ييأسوا فقال (وكان الله عفوا غفورا) ثم أشار الى أنه ليس فى حكم الاستضعاف خوف الادراك فى الطريق أو الوصول الى مكان العدو أو ضيق الرزق فى المهاجر اليه أو بطلان الاجر بالموت فى الطريق فقال (ومن يهاجر فى سبيل الله) فيه اشارة الى أن المهاجر فى سبيل الشيطان ليس بموعود بهذه الاشياء (يجد فى الارض مراغما) أى طريقا يراغم فيه أنوف أعدائه لقاصدين ادراكه لانه ليس واحدا بل (كثيرا وسعة) من الرزق (ومن يخرج من بيته) بخلاف من نوى الهجرة ولم يخرج (مهاجرا) أى مقدرا للهجرة (الى الله) أى الى مكان أمر الله به (و) أولا مكان (رسوله ثم يدركه الموت) فى الطريق فلا يخاف فوات أجره وغفران ذنبه (فقد وقع) أى ثبت (أجره) الكامل لانه نوى مع الشروع فى العمل ولا تقصير منه فى عدم اتمامه فكأنه وجب (على الله و) غفر ذنبه ورحم غفران الواصل الى دار الهجرة ورحمته اذ (كان الله غفورا رحيما) قيل لما سمع حبيب بن ضمرة الآية السابقة وهو شيخ كبير مريض قال ما أنا ممن استثنى الله لانى أجد حيلة ولى من المال ما يبلغنى المدينة وأبعد منها والله لا أبيت الليلة بمكة أخرجونى فخرجوا به يحملونه على السرير حتى أتوا به الى التنعيم فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايع به رسولك ثم مات فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجرا وقال المشركون ما أدرك ما طلب فأنزل الله هذه الآية ثم أشار الى أن من السعة فى حق المهاجرين بل فى حق كل مسافر قصر الصلاة فقال (واذا ضربتم) أى سرتم مدين السير (فى الارض) وهو الذهاب مرحلتين (فليس عليكم جناح) أى اثم فى (أن تقصروا) أى تنقصوا شيأ (من) ركعات (الصلوة) ركعتين من الرباعية (ان خفتم) من اتمامها (أن يفتنكم) أى يقاتلكم (الذين كفروا) لانهم وان راعوا حرمة حرم مكة والاشهر الحرم لا يراعون حرمة الصلاة لعداوتكم (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) فأصل القصر كان مشروطا

بهذا

من الوسيخ وجاء فى التفسير أنه أخذ من الشارب والاظفار ونتف الابطين وحلق العانة (قوله تعالى تنبت بالدهن) تأويلها كأنها تنبت ومعها الدهن لأنها تغذى بالدهن وقرئت تنبت بالدهن أى ما تنبته كأنه والله أعلم يخرج ثمرها ومعه الدهن وقال قوم الباء زائدة انما يعنى تنبت الدهن أى ما تعصرون

بهذا الخوف ثم أسقط هذا الشرط واعتبر مشقة السفر لما روى مسلم عن يعلى بن أمية قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته أى رخصته ثم ذكر سائر تخفيفات الصلاة لخوف العدو فقال (واذا كنت) أيها الكامل الذى يتوهم فيه انه لا يأخذ بالتخفيفات (فيهم) أى فى جمع العدو (فأقمت لهم) أى لاصحابك الذين يحتاجون الى التخفيفات (الصلوة) بالجماعة التى لو فوروا جرها يتحمل مشاقها ولا يخاف من النقائص معها (فلتقم) فى الركعة الاولى (طائفة منهم معك) وتكون الاخرى تجاه العدو (ولياخذوا أسلحتهم) التى لا تشغلهم عن الصلاة ولا تؤذى الجار لانه أقرب الى الاحتياط (فاذا سجدوا) سجدتى الركعة الاولى فارقوك وأتموا صلاتهم وتقوم الى الثانية منتظرا فاذا فرغوا (فليكونوا) يحرسونكم (من ورائكم و) اذا جاءت الاولى (لتأت طائفة أخرى) وهم الذين (لم يصلوا) الركعة الاولى معك (فليصلوا) ركعتهم الاولى (معك) وأنت فى الثانية فاذا جلست منتظرا قاموا الى ثانيتهم وأتموها ثم جلسوا ليسلموا معك (ولياخذوا) سيما فى الثانية (حذرهم) أى يتيقظهم لان العدو يتوهمون فى الاولى كون المسلمين قائمين فى الحرب فاذا قاموا الى الثانية ظهر لهم انهم فى الصلاة وجعله كالآلة فأمر بأخذه وعطف عليه (وأسلحتهم ود) أى تمنى (الذين كفروا لو) يغفلون منكم غرة اذ (تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم) أى حوائجكم التى بها بلاغكم (فيميلون) أى يشدون (عليكم ميلة واحدة) فيقتلونكم روى ان المشركين لما رأوا المسلمين يصلون الظهر ندموا أن لا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هى أحب اليهم من آبائهم وأمهاتهم أى العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فنزل جبريل عليه السلام بالآية (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر) يثقل معه حمل السلاح (أو كنتم مرضى) يثقل عليكم حمله (أن تضعوا أسلحتكم و) لكن (خذوا حذركم) لئلا يهجم عليكم العدو وان كان المتوكل على الله لا يبالى بهم (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) فلا يمدهم بنصر أعدائهم عليهم من غير حمل سلاح (فاذا قضيتم) أى أتممتم (الصلوة) اى صلاة الخوف (فاذكروا الله) جبر النقائص بها استحبابا والاولى على هيئة الصلاة (قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم) أى سكنت قلوبكم بالامن ولو فى أثناء هذه الصلاة (فاقيموا الصلوة) كاملة وانما أبحنا فيها النقص مع الخوف رعاية لاوقاتها (ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أى واجبة فى أوقاتها لا يجوز اخراجها عنها وان لزمها نقائص فى رعايتها (ولا تهنوا) أى ولا تضعفوا من شغلكم بالصلاة (فى ابتغاء القوم) أى طلب القوم الكفار بالقتال مخافة كثرة الافعال اذ رخص لكم فيها فلا عذر من جهتها فلو اعتذرتم فانما هو من جهة تألمكم لكن (ان تكونوا تألمون) فلا ينبغى أن يوهنكم كما يوهنهم (فانهم يألمون) لا دون تألمكم بل (كما تألمون) على أنه لا مخفف لالمهم (و) ألمكم مخفف اذ (ترجون

فيكون دهنا (قوله فعالى تترى) وتترا فعلى وفعلا من المواترة وهى المتابعة من لم يصرفها جعل الفها للتأنيث ومن صرفها جعلها ملحقة بفعلل وأصل تترى وترى فابدلت التاء من الواو كما ابدلت فى تراث وتجاه ويجوز فى قول الشاعر أن تقول فى الرفع تترو فى الخفض تترى وفى النصب تترا الالف بدل من التنوين (قوله

من الله) من القرب منه واستحقاق الدرجات من جنابه واظهار دينه (مالا يرجون وكان الله عليما) بأنكم لا تضعفون معهم ان صبرتم (حكيما) في أمركم بترك الوهن معهم ثم أمر بترك الوهن في الانتصاف من الظالم للمظلوم فقال (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس) بطريق التسوية بينهم ولم نكلفك الاطلاع على الواقع بل (بما أراك الله) ولم تفعل فلا تعكس (لا تكن للخائنين) أي للذب عنهم (خصيما) مع البراء (و) ان هممت به (استغفر الله) لان هممك بالمعصية معصية (ان الله كان غفورا رحيما) روى ان طعمة بن أبيرق سرق درع جاره قتادة بن النعمان وكانت في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرقه حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع من طعمة فحلف بالله ما له بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق الى منزل اليهودي فأخذوها منه فقال دفعها الي طعمة فجاء قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عنه فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي فأنزل الله هذه الآية ثم قال (ولا تجادل) اعتمادا على غفران الله ورحمته (عن الذين يختانون) اي يتعمدون الخيانة فيظلمون (أنفسهم) للستر عليهم لان الله لا يريد سترهم (ان الله لا يحب من كان خوانا) أي مبالغا في الخيانة بالتعمد (أثيما) بالحلف الكاذب ورمي البري (يستخفون) أي يستترون بهما (من الناس) الذين لا نسبة لهم الى عظمة الله (ولا يستخفون من الله) فلا يستحيون منه مع جلالة قدره (و) لا يمكنهم الاستتار منه اذ (هو معهم) يعلم (اذ يبيتون) أي يزورون (ما لا يرضى من القول) الحلف الكاذب ورمي البري وشهادة الزور (وكان الله بما يعملون محيطا) فيمكنه أن يفضحكم بظواهركم وبواطنكم بين الخلائق الذين كنتم تستخفون من أقل القليل منهم (ها أنتم هؤلاء) أي تنبهوا أيها المشار اليهم بالاشارة القريبة بان ستركم عليهم لا يمنع من فضيحة الله اياهم لان غايتكم انكم (جادلتم عنهم) للستر عليهم فانما يكون ساترا (في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم) ليدفع فضيحته بمقتضى علمه المحيط الذي يظهر به (يوم القيامة) بين الاولين والآخرين أي يكون هناك من يستر عليهم (أم من يكون عليهم وكيلا) يدفع عنهم ثم أشار الى أن المعاصي لا تستتر بالمجادلة بل بالاستغفار فقال (ومن يعمل سوأ) أي معصية يسوء بها غيره (أو يظلم نفسه) فيخصها (ثم يستغفر الله) أي يطلب سترهما من الله (يجد الله غفورا) أي مبالغا في الستر (رحيما) بالمحو ثم أشار الى أن المجادلة لو سترت فلا تستر اذا رمي بها بريئا عنها فقال (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) فيجوز ان يستره الله عليه ولو بالمجادلة (وكان الله عليما حكيما) وأما (من يكسب خطيئة) أي سهوا (أو اثما) عمدا (ثم يرم به بريئا) فلا يليق بعدل الله سبحانه وتعالى ستره (فقد احتمل بهتانا) على صاحبه (واثما) صارت خطيئته به عمدا فلا بد في مقتضى العدل الالهي ان يكون (مبينا) لحاله ولو في القيامة (ولولا فضل الله عليك) بالهداية الكاملة (و رحمته) بالعصمة التامة (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) أي اضللت اذ قصدت قصدا كاد طائفة عظيمة ممن يدعي محبتك أن يضلوك برمي البري والمجادلة عن

الخائنين

تعالى تجأرون) أي ترفعون أصواتكم بالدعاء (قوله تعالى تنكصون) أي ترجعون القهقرى يعني الى خلف وقوله تهجرون من الهجر وهو الهذيان وتهجرون أيضا من الهجرة وهو الترك والاعراض وتهجرون بتشديد الجيم تعرضون اعراضا بعد اعراض وتهجرون من الهجر وهو الافحاش في المنطق (تلقونه) أي

الخائنين (ومايضلون) بهذا الهم (الا أنفسهم) باعتقاداتهم يتمكنون من اضلالك مع ماعليك من الفضل والرحمة وكيف يضلونك بمثل هذه الكبائر (ومايضرونك من) تحصيل (شئ) لك من الصغائر كيف (و) قد (أنزل الله عليك) لارشاد الخلق الى يوم القيامة (الكتاب والحكمة) أى العلم الظاهر والاسرار الباطنة (وعلمك) من المغيبات (مالم تكن تعلم) بالاكتساب ولا بالمجاهدة (و) ذلك لانه (كان فضل الله عليك عظيما) اذ جعل رسالتك ونبوتك

كيف يتمكنون من اغوائك بمثل هذه الامور الشنيعة ثم أشار الى

ثم اضلالك انما كان بنجواهم فقال (لاخير فى كثير من نجواهم) بل

(من أمر) بخفية عن الحاضرين (بصدقة) ليعطيها سرا يستر به عار

ف) لئلا يأنف المأمور عن قبوله لو جهر به (أو اصلاح بين الناس)

ل فى الحصر الخير اما نفع جسمانى وهو فى الامر بالصدقة أو روحانى

مادفع وهو فى الاصلاح ويمكن أن يقال الخير اما نفع متعد من

ولازم له وهو المعروف أو دفع ضرر متعد أو لازم له وهو الاصلاح

ن بهما رضا الله تعالى فان (من يفعل ذلك ابتغاء) أى طلب (مرضات

فسوف نؤتيه أجرا عظيما) يساوى أجر الفاعل أو يفوقه وكيف

ب مشاقة الله التى أوعد على مادونها بغاية الشدة وهى مشاقة

فقال (ومن يشاقق الرسول) أى يصير فى شق ويجعله فى آخر (من

ن الرسول دون ما اختاره (و) كذا من (يتبع غير سبيل المؤمنين)

ى نجعله والياء مرجحا (ماتولى) من المشاقة ومتابعة غير سبيلهم

ى الكفرة ليكون دليلا على شدة العقوبة فى الآخرة (ونصله جهنم)

وساءت مصيرا) وان توهم المزين له انه يحسن مصيره وفى الآية

دليل على حرمة مخالفة الاجماع لانه عز وجل رتب الوعيد الشديد على مشاقة الرسول ومخالفة الاجماع فهو اما لحرمة أحدهما وهو باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر وأكل الخبز استوجب الحد اذ لا دخل لاكل الخبز فيه أو لحرمة الجمع بينهما وهو أيضا باطل لان مشاقة الرسول حرام وان لم يضم اليها غيرها أو لحرمة كل واحد منهما وهو المطلوب ثم أشار الى أن وعيد مشاقة الرسول جازم دون مخالفة الاجماع لان مشاقة الرسول دليل تكذيبه وهو مستلزم للشرك بالله اذ خلق المعجزات لا يكون الا لكامل القدرة ولا يكون الا لاله فاذا نفاها عن الله فقد أثبت له شريكا (ان الله لا يغفر أن يشرك به و) مخالفة الاجماع يجوز أن تكون مغفورة لانه (يغفر مادون ذلك لمن يشاء) اذ لا تنتهى الى الشرك وكيف يغفر أن يشرك به (و) هو أعظم وجوه الضلال فان (من يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) فترك جزائه يستلزم التسوية بينه وبين الهداية الكاملة وكيف لا يكون ضلالا بعيدا مع انهم (ان يدعون) أى مايعبدون (من دونه الا اناثا) اما لفظا كصور الاصنام الالهية أو الملائكة أو الجنة أو

1986 ١٩٨٦م
3 September
٣ سبتمبر
11 محرم ١٤٠٦ هجرية
الثلاثاء
صلاح القلب بالعمل ، وصلاح العمل بالنية

تقبلونه وقرئت تلقونه من الولق وهو استمرار اللسان بالكذب (قوله عز وجل تبارك) تفاعل من البركة وهى الزيادة والنماء والكثرة والاتساع أى البركة تكتسب وتنال بذكرك ويقال تبارك تقدس والقدس الطهارة ويقال تبارك تعاظم الذى بيده الملك (قوله تعالى تغيظا وزفيرا) التغيظ الصوت الذى

مشايخهم وهى مؤنثة لفظا واما معنى لان معبوداتهم منفعلة عن الله تعالى لحدوثها ثم ان الملائكة وأرواح مشايخهم لا تتعلق بتلك الصور ولا يظهر بها الاسماء الالهية ظهورا كاملا (و) انما تتعلق بها الشياطين وتظهر فيهم (ان يدعون الا شيطانا) يتكلم بالسدنة معهم ويتراءى لهم ولا يتقرب بعبادته الى الله لكونه (مريدا) أى خارجا عن طاعته بحيث (لعنه الله) أى أبعده عن رحمته فاراد ابعاد من أبعد بسببه (وقال) حين أبعد (لاتخذن من عبادك) الذين أبعدتنى بسببهم (نصيبا مفروضا) أى مقدرا من عبادتهم بأن يعبدوا غيرك أو يراؤا فيها أو يجبوا بها أو يتلفوها فى المظالم أو يحبطوها بالكفر بعدها (ولأضلنهم) بايهام ان فى عبادة الاصنام عبادة الله لانها مظاهره فما يعبد فيها غيره (ولأمنينهم) بنيل الاجر منك على عبادة الاصنام أو بانكار البعث والجزاء أو بانه يحصل لهم أحسن وجوه الجزاء أو بطول بقائهم فى الدنيا ليؤثروها على الآخرة وبالحث على المعاصى وتسويف التوبة عليه (ولآمرنهم) على خلاف أمرك اضلالا لهم بانه أمرك وايقاعا لهم فى أمنية الثواب عليه (فليبتكن) أى فليشقن (آذان الانعام) أى البحائر والسوائب ليحرموها بعدما أحللتها لهم (ولآمرنهم) بتغيير مقتضى العقل الذى فطر الله عليه الخلق وبتغيير ظاهر الخلقة بالوسم والوصل والخصى وتشبيه الرجال بالنساء والنساء بالرجال (فليغيرن خلق الله) بأحد هذه الوجوه التى فيها موالاتى (ومن يتخذ الشيطان وليا) يأتى بما يدعو اليه (من دون الله) أى مجاوزا ولايته بترك ما يدعو اليه (فقد خسر خسرانا مبينا) اذ لم يجد ما وعده ولا ما وعده الشيطان لان غاية أمر الشيطان انه (يعدهم) وعد ليس بيده (و) لكنه (يمنيهم) انهم ينالونه من الله وانما ينالونه لو صدق (و) لكن (ما يعدهم الشيطان الا غرورا) ايهام نفع مما ليس فيه سوى الضرر اذ (أولئك) البعداء عن وعد الله (مأواهم جهنم) بوعيده (و) وعيده وان كان قد يتخلف فى حق غيرهم فهم (لا يجدون عنها محيصا) أى معدلا (و) كيف لا يكون خسرانهم مبينا وقد خسروا الجنة الموعودة للمؤمنين العاملين للصالحات اذ (الذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات) وكفى بفواتها خسرانا لو لم تجر من تحتها الانهار لكنها (تجرى من تحتها الانهار) أيضا لو لم تأبد ولكنها تأبد اذ يكونون (خالدين فيها أبدا) وليس كوعد الشيطان الذى هو غرور وباطل (وعد الله حقا) وكيف لا يكون وعد الله حقا (ومن أصدق من الله قيلا) لانه دال على المعنى النفسى الذى لا يتصور فيه نقيصة الكذب واذا صدق وعد الله صح انه (ليس) الامر (بأمانيكم) أيها المشركون انه لا جنة ولا نار فان كانتا كما أحسن حالا (ولا أمانى أهل الكتاب) انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وانه لن تمسنا النار الا أياما معدودة اذ ليس فى كتبهم ذلك بل الذى فيها (من يعمل سوأ يجز به) وقد حرفوا كتاب الله وغيروا نعت رسوله وكذبوا بآياته (ولا يجد له من دون الله) من الانبياء والاولياء (وليا) يرفع درجته فيرفع عنه السوء (ولا نصيرا) يدفع عنه السوء (ومن يعمل من الصالحات) وان لم يستوعبها (من ذكر أو أنثى) أى كامل أو ناقص (وهو مؤمن) بجميع

بهمهم به المغتاظ والزفير هصوت من الصدر (قوله عز وجل تبسم أهلكنا) أى ضاحكا) التبسم أول الضحك وهو الذى لا صوت له (قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه) أى حلفوا بالله انه لنهلكنه ليلا (قوله تعالى تأجرنى) أى تكون أجيرا لى (قوله عز وجل تذودان) أى تكفان غنمهما وأكثر ما يستعمل

الكتب والرسل (فأولئك) لعلو رتبتهم بالايمان الصحيح وبعض الاعمال الصالحة (يدخلون الجنة) المناسبة لعلوهم وان لم يكونوا هودا أو نصارى (ولا يظلمون) أى لا ينقصون (نقيرا) أى مقدار نقرة ظهر النواة فضلا عن ابطال الاجر بالكلية ولو قالوا كيف لا ينقص اجرنا عن أجر ناو ديننا سابق وكذا نبينا رد عليهم بانه لا فضل للسبق بل للحسن (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) فانقاد لجميع أوامره وآيانه (وهو محسن) أى ناظر الى الله لا الى دين سبق اليه آباؤه (و) لو اعتبرتم سبق دينكم فدين ابراهيم أسبق والمسلم قد (اتبع ملة ابراهيم حنيفا) أى مائلا عن الاعتقادات الفاسدة الباطلة التى لكم (و) قد اشتهر بالفضل اذ (اتخذ الله ابراهيم خليلا) لانه تخللت صفاته بصفاته أى ناسبها مناسبة تامة بقدر الطاقة البشرية والدين المحمدى اشتمل على ملته وزيادات شريفة (و) لا بأس بنسخها بعض الاحكام اذ (لله ما فى السموات وما فى الارض) فله أن يتصرف فيهما بما يشاء (و) لكنه راعى مصالح أهل كل عصر وان لم يدركوها اذ (كان الله بكل شئ محيطا ويستفتونك فى النساء) كيف توارثهن مع ان قريشا لم توارث الا من شهد القتال وحاز الغنيمة وقد ورثوا من ملة ابراهيم فكيف تخالفها (قل الله يفتيكم فيهن) فى صحف ابراهيم وموسى وعيسى (و) يفتيكم أيضا (ما يتلى عليكم فى الكتاب) من الله (فى يتامى النساء اللاتى) هن أحوج الى المال من الرجال وان كنتم (لا تؤتونهن) بالنظر الى حاجتهن ولا الى (ما كتب لهن و) لا تراعون فى ذلك مصالحهم اذ (ترغبون) فى (أن تنكحوهن) لتأكلوا أموالهن (و) يفتيكم أيضا فى (المستضعفين من الولدان) الذين هم أحوج الى المال لعجزهم عن الاكتساب اذ تمنعونهم حقوقهم لعدم شهودهم القتال (و) يفتيكم ان عليكم (أن تقوموا لليتامى) من النساء والولدان (بالقسط) فلا تجعلوا حظهم دون حظ الكبار (وما تفعلوا من خير) سيما فى حق الضعفاء من حفظ أموالهم والقيام بتدبيرهم (فان الله كان به عليما) يفعل بكم خيرا كما فعلتم بهم (وان) خافت (امرأة) مخالفتكم أمر الله بايفاء حقوقها بان (خافت من بعلها) أى زوجها (نشوزا) أى تجافيا عنها ومنعا لحقوقها (أو اعراضا) أى تطليقا (فلا جناح) أى لا اثم (عليهما) وان أعانته على مخالفة أمر الله (أن يصلحا) بما يجمع (بينهما صلحا) بحط شئ من المهر أو النفقة أو هبة شئ من مالها أو قسمها وكيف يكون عليهما جناح (والصلح خير) من الفرقة التى يلتزمها تحرزا من حقوقها ومن الخصومة وسوء العشرة (و) انما صار خيرا مع كرهها ومخالفته لامر الله لانه (أحضرت الانفس الشح) فلا تكاد المرأة تسمح بالنشوز والاعراض ولا الرجل فى امساكها مع القيام بحقوقها (و) هذا وان رخص لكم فيه لكن (ان تحسنوا) العشرة (وتتقوا) مخالفة أمر الله (فان الله كان بما تعملون) من تحمل المشاق من أجله (خبيرا) فيعظم أجركم (و) انما رخص فى الصلح بعد ما أمر بالقسط لما علم انكم (لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) بحيث لا يقع ميل الى احداهن يدعو الى منع حقوق الاخرى (ولو حرصتم) أى بالغتم لان الميل يقع بلا اختيار فى القلب لكنكم مختارون فى تنفيذه (فلا تميلوا)

فى الغنم والابل وربما استعمل فى غيرهما ويقال شذوذكم عن الجهل علينا أى نكفكم ومنعكم (قوله تعالى تضطلون) أى تصطلون (قوله تعالى تنوء بالعصبة) أى تنهض بها وهو من المقلوب معناه ما ان العصبة لتنوء بفاتحه أى ينهضون بها يقال ناء بحمله اذا نهض منه متثاقلا وقال الفراء ليس هذا من المقلوب انما معناه ما ان

عن امراة (كل الميل) فتتركوا المستطاع من القسط (فتذروها) أى تتركوها (كالمعلقة) بين السماء والارض لا تكون فى احدى الجهتين لا ذات بعل ولا مطلقة (وان تصلحوا) نفوسكم بمنعها ما تميل اليها (و) لا أقل من أن (تتقوا) نقص شئ من حقوقها مع عدم الميل (فان الله كان غفورا) بميلكم (رحيما) بانابتكم (وان يتفرقا) أى اختارا الفرقة (يغن الله كلا) من الزوج والزوجة بامرأة أخرى وزوج آخر (من سعته) أى سعة جوده (وكان الله واسعا) فى الجود وانما يقبض عمن يقبض لانه كان (حكيما) كيف لا يكون واسعا اذ (لله ما فى السموات وما فى الارض) فله أن يعطى ما شاء منهما لمن شاء من عبيده (و) لكن بمقتضى الحكمة (لقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) فعلموا سعة رحمتنا لجرئتهم على المعاصى (واياكم) وان كنتم أمة مرحومة (أن اتقوا الله) فان الحكمة لا تتم الا بتقواه (و) ليس المراد ان حكمة الله لا تتم بدون تقواكم فانكم (ان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض) يتم حكمته فيهما (وكان الله غنيا) فى اتمام حكمته عن تقواكم (حميدا) أتتم حكمته بتقواكم أم لا (و) انما أمركم بالتقوى مع غناه فى اتمام حكمته عنكم لانه أراد افاضة الكمالات عليكم من كل جانب اذ (لله ما فى السموات وما فى الارض) ينفع من شاء بما شاء منهما ويضر من شاء بما شاء منهما فاذا أمر عباده بامر ففعلوه سخرهما لهم فانتفعوا بكل شئ فيهما ولم يضرهم شئ منهما اذ يصير وكيلهم (وكفى بالله وكيلا) ولكون أمره اياكم بعبادته مع غناه عنها وعنكم لافاضة الكمالات عليكم عن استعدادكم لها بالعبادة فاذا تركتموها (ان يشأ يذهبكم) أى لا يظهر فيكم كمالاته التى خلقكم لظهورها فيكم (أيها الناس) الذين نسوا سر خلقهم (ويات بآخرين) لانه وان كان غنيا عن اظهار كمالاته فانه لغاية كماله شأنه التكميل (و) لا مانع له من هذه المشيئة اذ (كان الله على ذلك قديرا) ولا يمنعكم عن عبادته اشتغالكم بطلب الدنيا لشدة حاجتكم اليها فان (من كان يريد ثواب الدنيا) فانه يحصل له من عبادة الله كثواب الآخرة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة و) غاية طلب العابد الدعاء والاولى الاكتفاء بعلمه اذ (كان الله سميعا) لدعاء من يطيعه (بصيرا) بحال من يكتفى بعلمه ثم أشار الى أنهما انما يحصلان للمستقيم على أمر الله اذ يقيم له جميع حوائجه فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم المبالغة فى القيام بالقسط (كونوا قوامين بالقسط) أى العدل والاستقامة اذ به انتظام أمر الدارين الموجب لثوابهما ومن أشده القيام بالشهادة على وجهها كونوا (شهداء) مقيمين للشهادة مؤدين لها (لله ولو) كانت (على أنفسكم) فاقروا بالحق عليها (أو الوالدين) أى الاصول (والاقربين) أى الاولاد والاخوة وغيرهم (ان يكن) من تشهدون عليه (غنيا) تخافون منعه ما كان يعطيكم أو اضراره بكم (أو فقيرا) ترحمون عليه بترك الشهادة عليه أو تخافون من الشهادة عليه أن يلجئكم الى ان تعطوه ما يكفيه (فالله أولى بهما) من المشهود عليه فاذا نظر اليه جعل الشهادة صلاحا لهما وكذا

مفاتحه لتفى العصبة أى تميلهم بثقلها فلما انفتحت التاء دخلت الباء كما قالوا هو يذهب بالبؤس ويذهب البؤس واختصاره تنوء بالعصبة أى تجعل العصبة تنوء أى تنهض متثاقلة كقولك قم بنا أى اجعلنا نقوم (قوله تعالى تأثيرا ان الله لا يحب الفرحين أى الاشرين وأما الفرح بمعنى السرور فليس بمكروه (وقوله تعالى

اذا نظرتم اليه جعلها صلاحا لكم (فلا تتبعوا الهوى) ارادة (أن تعدلوا) عن أمر الله الذى هو مصلح أموركم وأمور المشهود عليهم لو نظرتم ونظروا اليه (وان تلووا) أى تحرفوا السنتكم عن الشهادة على وجهها (أو تعرضوا) عنها بكتمها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فلا يبعد أن يوقع بكم المكروه ويبطل عليكم المطلوب مع ما يجازيكم عليه فى الآخرة ثم أشار الى أن اقامة العدل والشهادة لله تكميل للايمان بالله والرسول والكتاب فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ترجيح جانب من آمنتم به والتعظيم لرسوله والعمل بمقتضى كتابه (آمنوا بالله) أى كملوا ايمانكم به باقامة العدل الذى فيه ترجيح جانبه (ورسوله) الذى بعثه باقامة العدل (والكتاب الذى نزل) لتقرير قواعد العدل واحدة بعد أخرى (على رسوله) لتأسيسها على أكمل الوجوه وأحسنها (والكتاب الذى أنزل من قبل) لتقرير قواعد عدل زمانه فكماله انما يكون برعاية مصالح كل زمان ثم أشار الى أن ترك العدل والشهادة لله يشبه الكفر بجميع ما يجب الايمان به فيشبه الضلال البعيد فقال (ومن يكفر بالله) الآمر بالعدل (وملائكته) الآتية به من عند الله (وكتبه) الموضوعة لتقرير قواعده (ورسله) المبينين لها (واليوم الآخر) الموضوع للجزاء على اقامته وتركه (فقد ضل ضلالا بعيدا) أما الكفر بالله فظاهر وأما بالملائكة فلانهم المقربون اليه وأما بالكتب فلانها الهادية اليه وأما بالرسل فلانهم الداعون اليه وأما باليوم الآخر فلان فيه نفع اقامته وضرر تركه فاذا أنكر لزم انكار النفع الحقيقى والضرر الحقيقى فهو الضلال البعيد ثم الكفر بالملائكة كفر بظاهر باطنه وبالكتب كفر بظاهر صفة كلامه وبالرسل كفر بأتم مظاهره وباليوم الآخر كفر يدوام ربوبيته وعدله ثم الكفر بالملائكة يدعو الى الايمان بالشياطين وبكتب الله الى الايمان بكتب الكفرة وبالرسل الى تقليد الآباء وباليوم الآخر الى الاجتراء على القبائح وكل ذلك ضلال بعيد ثم أشار الى أن الكفر لما كان ضلالا بعيدا لم يفد الايمان السابق عليه ولو مكررا الا هداية ولا مغفرة فقال (ان الذين آمنوا) بموسى (ثم كفروا) بعبادة العجل (ثم آمنوا) عند عوده (ثم كفروا) بعيسى (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (لم يكن الله ليغفر لهم) فيفيدهم أدنى فوائد الايمان لايمانهم السابق ولو مكررا (ولا ليهديهم سبيلا) الى التحقيق ولا ينفع وان بقوا على الايمان بموسى اذ الكفر اللاحق ناسخ للايمان السابق ولا ينفع تكراره سيما اذا عورض بمزيد الكفر وكيف ينفع السابق ولا ينفع المقارن سيما فى حق المنافقين (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما) ويدل على مقارنة ايمانهم للكفر ترجيحهم جانب الكفرة فى المحبة اذهم (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أى مجاوزين موالاة المؤمنين فان زعموا انهم انما والوهم تقية من اذلالهم يقال لهم (أيبتغون) أى يطلبون (عندهم العزة) مع انها ليست عندهم (فان العزة لله جميعا) وهم أعداؤه فلا يعطيهم منها شيأ فلو كانت لهم وجب على المؤمنين الصبر على الذلة بمقتضى الايمان كيف (وقد نزل عليكم فى الكتاب) الذى تدعون الايمان به (أن) أى أن الشأن (اذا سمعتم

تخلقون افكا) أى تختلقون كذبا (قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أى ترتفع وتنبو عن الفرش (قوله تعالى تبرجن) أى تبرزن محاسنكن تظهرنها (قوله تناوش) أى تناول تهمز ولا تهمز والتناوش بالهمز التأخر أيضا قال الشاعر
تمنى نعيشا أن يكون أطاعنى
وقد حدثت بعد الامور
أمور

آيات الله) من ذلك الكتاب أو غيره (يكفر بها و) لاسيما اذا كانت (يستهزأ بها فلا تقعدوا معهم) أي مع الكافرين سيما المستهزئين فضلا عن موالاتهم (حتى يخوضوا في حديث غيره) لان قعودكم معهم يدل على رضاكم بالكفر بها والاستهزاء (انكم اذا) أي اذا رضيتم بكفرهم واستهزائهم (مثلهم) فاجتماعكم بهم ههنا سبب اجتماعكم في جهنم (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) وكيف لا يجتمعون بهم وأقل أحوالهم انهم ان لم يرجحوا الكفر على الايمان يترددون في الترجيح بينهما اذهم (الذين يتربصون) أي ينتظرون وقوع أمر من الغنيمة أو الهزيمة (بكم فان كان لكم فتح) ولا يكون مع ضعفكم الا (من الله) ولا دخل معونتهم فيه (قالوا) لكم (ألم نكن معكم) فلنا دخل في فتحكم فليكن لنا شركة في غنيمتكم (وان كان للكافرين نصيب) من الفتح لئلا يلجئهم دوام الفتح للمؤمنين الى الايمان (قالوا) لهم (ألم نستحوذ) أي ألم نستول (عليكم) فامكناكم (و) لكن (نقتلكم) ومنعنا المؤمنين أن يقتلوكم ألم (نمنعكم من المؤمنين) فهذا دليل على أن التردد في قلوبهم لا يزول بهذه الدلائل (فالله يحكم بينكم) بازالة ترددهم (يوم القيامة و) ليس باعطاء الحجة لهم لانه (لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) بالحجة في الدنيا ولا في الآخرة ثم قال (ان المنافقين) من ترددهم في ترجيح أحد الجانبين على الآخر مع وضوح دلائل ترجيح الايمان وفقد دليل على ترجيح الكفر (يخادعون الله) أي يريدون مخادعته بان يدعوا لانفسهم أرجح الجانبين اذا رأوا رجحان أحدهما عنده (وهو خادعهم) بالحقيقة اذ لا يريهم الارجح مع وضوح دلائله (و) من مخادعته لهم انه لا يمكنهم من اتمام الصلاة حتى انهم (اذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى) لا يهتمون لاتمامها بل لا يريدون الصلاة بالحقيقة وانما (يراؤن الناس و) لذلك (لا يذكرون الله) فيها التقربوا اليه (الا قليلا) ليسمعوا الناس فيوهموهم انهم يتقربون اليه ولو أكثروا ذكره لم يتأت لهم الاخلاص لانه بترجيح جانب الايمان وليس امر بين أحد الجانبين لكونهم (مذبذبين) أي مضطربين اضطرابا تاما (بين ذلك) أي ترجيح أحدهما بحيث (لا) يميلون (الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) وهذا من خداع الله بهم اذ لم يهدهم أحد السبيلين (و) مع ذلك لا ظلم من جهته اذ لا استعداد لهم فيكون لهم سبيل الى الهداية فان (من يضلل الله فلن تجد له سبيلا) فهذا دليل التردد وما سبق دليل ترجيحهم لجانب الكفر على الايمان (يا أيها الذين آمنوا) أقل ما يقتضيه ايمانكم ترجيحه على الكفر وترك التردد فانى يكون لكم ترجيح الكفر (لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) اذ يصير دليلا على ترجيح جانب الكفر (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) أي حجة ظاهرة على كفركم تبيح أموالكم ودماءكم ولا يفيدكم التردد تخفيف العذاب فضلا عن النجاة (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) ولا تخفيف فيها ولا نجاة لاهلها (و) لا يفيدهم الجهل برجحان أحد الجانبين لظهور رجحان الايمان مع انه لا حجة في جانب الكفر أصلا فلذلك (لن تجد لهم نصيرا) من الحجج وغيرها (الا الذين تابوا) عن النفاق (و) هي انما تتم اذا (أصلحوا) ما أفسدوا من اعتقادات المسلمين

(قوله عز وجل تسوروا المحراب) أي نزلوا من ارتفاع ولا يكون التسور الا من فوق (قوله عز وجل توارت بالحجاب) أي استترت بالليل يعني الشمس أضمرها ولم يجر لها ذكر والعرب تفعل ذلك اذا كان في الكلام ما يدل عليه (قوله عز وجل تقشعر) أي تقبض (قوله تعالى تقلبهم في البلاد) أي تصرفهم فيها للتجارة أي فلا يغرنك

وأحوالهم (و) هو انما يتأتى اذا (اعتصموا بالله) بترك موالاة الكفار (و) هو انما يتيسر اذا (أخلصوا دينهم لله) فلم يبق لهم فيه تردد (فأولئك) لعلو رتبتهم بهذه الامور لا يكونون فى درك من النار فضلا عن الاسفل بل (مع المؤمنين) المستمرين على الايمان بلا نفاق فى الجنان (وسوف يؤت الله المؤمنين) المستمرين على الايمان (أجرا عظيما) فوق أجر من تاب عن النفاق ويحتمل أن يقال وسوف يؤت الله المؤمنين بعد ادخال الجنان أجرا عظيما يشارك فيه التائبون عن النفاق ثم أشار الى أنه انما استثنى التائبين من المنافقين مع كونهم مخادعين لله مستحقين لعذاب أشد من عذاب الكفار لان الله تعالى لا يعذب أحدا ليشفى به غيظا أو يدفع به ضررا أو يجر نفعا بل انما يعذب من يعذبه لانه حصل له مرض من جهله بالمنعم وعدم شكره له فاذا شكر المنعم وآمن به زال سببه (ما يفعل الله) من جر نفع له أو دفع ضر عنه (بعذابكم) الذى كان يعذبكم به لعدم شكركم وايمانكم (ان شكرتم وآمنتم) كيف (و) مقتضى جوده الانعام على من عرف قدر النعمة وأقر بالمنعم اذ (كان الله شاكرا) أى مجازيا على الشكر بالمزيد (عليما) باستعداده للانعام عليه فلا يعد عليه أن يلحق التائب من الكفر والنفاق بالمستمر على الايمان والاعمال الصالحة وانما يعذب من لا يشكره لانه كالشاكى عنه ولا يحب الشكاية عن مخلوق فكيف عن نفسه فانه (لا يحب الله الجهر) أى الظهور (بالسوء) أى القبيح من الغير سيما اذا أظهره (من القول) وهو الشكاية (الا) قول (من ظلم) بذلك السوء فتظلم به فانه يحبه حتى انه يجيب دعاءه (وكان الله سميعا) لدعائه (عليما) بما يستحقه الظالم لو لم يدع المظلوم ثم أشار الى أنه وان أحب الشكاية فهو أشد حبا للاحسان الى المسىء والعفو عنه فقال (ان تبدوا خيرا) أى تظهروا احسانا الى المسىء قدمه لانه أعلى (أو تخفوه) أى الخير وهو الاحسان الى المسىء ووسطه لانه أوسط (أو تعفوا عن سوء) وهو أدنى لكنه مع دناءته يفيد المناسبة مع الله الموجبة لشدة محبته من حيث العفو مع القدرة (فان الله كان عفوا قديرا) ثم أشار الى أن الكفر بالله أشد من ترك شكره ومن الشكاية عنه فالتعذيب عليه أولى (ان الذين يكفرون بالله) المنعم فضلا عن الاعتراف بنعمه والشكاية عنه (ورسله) الذين هم أعظم وجوه نعمه مع ان فيه شكاية عن الله بانه لم يهد طريقا الى معرفته وعبادته (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) بانهم كذبوا على الله فهم أهل الشكاية وانما أعطاهم الله المعجزات امتحانا للخلق مع انهم لم يجعل عليه دليلا فهو مشكو عنه بتصديقهم بالمعجزات (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) فيشكون عن الله بتسويته بين الصادق والكاذب فى اظهار المعجزات على يديه (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) كأنهم يزعمون أن تصديق الكل افراط وتكذيب الكل تفريط وخير الامور أوساطها وهو انما يتصور حيث يكون وسط به طرفان وههنا لا ساوا فى المعجزات والدعوة الى الحق والقيام بالخيرات فى أنفسهم كان الكفر بواحد كفرا بالكل بل بالله اذ يعتقدون فيه انه صدق الكاذب بخلق المعجزات (أولئك هم الكافرون حقا) يستهينون بالله بتصديق

تصرفهم وأمنهم وخروجهم من بلد الى بلد وان الله تعالى محيط بهم (قوله تعالى) التلاق) التلاق أى يوم يلتقى فيه أهل الارض وأهل السماء ويوم التناد يوم ينادى فيه أهل الجنة والنار وينادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم والتناد بتشديد الدال من ند البعير اذا مضى على وجهه ويوم

الكاذبين وبالرسل بانه لا يميز صادقهم عن كاذبهم فهو أزيد من الشكاية (و) لذلك (أعتدنا للكافرين عذابا مهينا) ثم أشار الى أن الايمان بواحد من الرسل يكون ايمانا بالكل والايمان بهم ايمانا بالله فلكل واحد من الايمانين أجر فقال (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) وان كان الايمان بواحد ايمانا بالكل لان الكفر بواحد كفر بالكل (أولئك سوف يؤتيهم أجورهم) متعددة (و) يزيدهم المغفرة والرحمة اذ (كان الله غفورا رحيما) وان زعموا ان ايمانهم بالبعض وكفرهم بالبعض ظهور الفرق اذ سمعوا الله يكلم موسى فكأنهم رأوا نزول كتابه من السماء ولم يروا ذلك في هذا الكتاب من هنا (يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا) يرون نزوله (من السماء) ولا حاجة لهم الى طلب ذلك بعد رؤية اعجازه المؤكد بالتفرق لكن عادتهم انهم لا يرون آية الا سألوه أكبر منها (فقد سألوا موسى) حين سمعوا الله يكلمه فنزل منزلة رؤيتهم نزوله من السماء (أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله) المتكلم (جهرة) أي رؤية ظاهرة فانا لا نؤمن بسماع كلامه ولا بنزول الكتاب المشتمل عليه (فأخذتهم الصاعقة) أي النار النازلة من السماء (بظلمهم) بانهم لا يرون آية الا يطلبون أكبر منها حتى يروا آية ملجئة الى الايمان بحيث لا يفيد الايمان معها فلا يكادون يؤمنون ايمانا يفيدهم أصلا ولا يبعدهم الكفر بعد رؤية الآيات فانهم رأوا آيات موسى (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) أي الدلائل القاطعة على نفي الشرك ثم تابوا عنه (فعفونا عن ذلك) ثم انهم لم ينقادوا لاوامر موسى (و) ان رأوا أنا (آتينا موسى سلطانا مبينا) أي استيلاء ظاهرا على اهلاك من خالفه (و) بالغوا في عدم الانقياد لها حتى (رفعنا فوقهم الطور) ليتحملوا التكليف (بميثاقهم) أي بما كلفهم بعهد وثيق (و) مع ذلك لم يأتوا بأسهل الاوامر اذ (قلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) فدخلوه يزحفون على استاههم فاخذتهم الصاعقة (و) لم يأتوا بأسهل منه اذ (قلنا لهم لا تعدوا في السبت و) هو مع كونه أهون الامور (أخذنا منهم) فيه (ميثاقا غليظا) فاعتدوا فيه فمسخوا قردة والذي فعلناه بهم (فبما نقضهم ميثاقهم) بالمخالفة (وكفرهم) مع ذلك (بآيات الله) الظاهرة على أيدي بعض الانبياء (وقتلهم) مع ذلك (الانبياء) مع علمهم انه (بغير حق و) لكن ستر عنهم حتى بسبب (قولهم قلوبنا غلف) أي محجوبة لا يظهر لها الآيات ولم يكن ذلك لعدم ظهورها (بل طبع الله عليها بكفرهم) فمنعها التدبر فيها (فلا يؤمنون) بما يزعمون الايمان به (الا قليلا) أي ايمانا ضعيفا لاجتراتهم على تحريفه وكتمانه (و) لو لم يكن كثرة عدم ايمانهم بالتوراة موجبة طبع فلاشك انه طبع على قلوبهم (بكفرهم) بالانجيل بالكلية (و) لا يقتصرون عليه بل هو مع (قولهم) الذي يجترؤن به (على مريم) بعد ظهور كراماتها وارهاصات ولدها ومعجزاته يهتونها به (بهتانا عظيما) وهم لا ينكرون هذا الكفر بل يفتخرون بهذا الكفر (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) فيفتخرون بقتله وبالاستهزاء برسالته (و) لا يصح لهم ذلك الفخر لانهم (ما قتلوه و) لا متمسك لهم فيما اشتهر من صلبهم اياه لانهم (ما صلبوه

التغابن يوم يغبن فيه أهل الجنة أهل النار وأصل الغبن النقص في المعاملة والمبايعة والمقاسمة (قوله عز وجل تباب) أي خسران (قوله تعالى نأنكنا عن آلهتنا) أي صرفنا عنها (قوله تعالى تعسا لهم) أي عثارا لهم وسقوطا ويقال التعس أن يخر على وجهه والنكس أن يخر على رأسه (قوله تعالى تزيلوا) أي تميزوا

ولكن) قتلوا وصلبوا من ألقى عليه شبهه اذ (شبه لهم) وذلك لان رهطا من اليهود سبوه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فقال للحواريين ان الله يرفعني فرفعه فدخل طيطانوس اليهودي بيتا هو فيه فلم يجده فألقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فأخذ وصلب وذلك من معجزات عيسى لاضلال أعدائه ويدل على هذا الشبه اختلافهم اذ قال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال قوم من النصارى صلب الناسوت ورفع اللاهوت الى السماء لما سمعوا قوله

(و) لم يرتفع الشبه بدليل قطعي في جانب بل (ان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به) أي بما قالوا (من علم) أي متمسك (الا اتباع الظن و) لم يكن لهم في اختلافهم قدر مشترك اتفقوا عليه من انهم قتلوه لانهم (ما قتلوه يقينا بل) اليقين انما هو في أنه (رفعه الله اليه) لما سمع منه

(و) لا يبعد رفعه على الله اذ (كان الله عزيزا) لا يغلب على ما يريده وقد اقتضت الحكمة رفعه فلا بد أن يرفعه لكونه (حكيما) وهي حفظه لتقويته دين محمد صلى الله عليه وسلم حين انتهائه الى غاية الضعف بظهور الدجال فيقتله ثم أشار الى أن من كان يفتخر بقتله سيتذلل له قبل موته فقال (وان) أي وما أحد (من أهل الكتاب الا) والله (ليؤمنن به) أي بعيسى اذ يكاشف بصدقه (قبل موته و) لا يفيد هذا الايمان الارفع العداوة المانعة من قبول الشهادة لذلك (يوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم) أي فيشهد بظلم (من الذين هادوا) قبل من كفر به فتوارثوا الظلم عنهم وهو الذي من أجله (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) اى لمن قبلهم ونسخ تحريمها على من آمن به منهم (و) يشهد أيضا (بصدهم عن سبيل الله كثيرا) بكفرهم به وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبمن قتلوهم من الانبياء (و) يشهد على (أخذهم الربوا وقد نهوا عنه و) على (أكلهم أموال الناس بالباطل) من طرق المعاملة والرشوة فيعذب بهذه الامور اسلافهم الذين لم يدركوه (وأعتدنا للكافرين) به (منهم) وراء العذاب على هذه الامور (عذابا أليما) سيما اذا ضموا اليه الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وان زعموا انهم انما كفروا بما لرسوخهم في العلم فليس الكفر من رسوخهم بل من عنادهم (لكن الراسخون في العلم منهم) أي من أهل الكتاب الذين جروا على مقتضى رسوخهم (والمؤمنون) من الاميين اللاحقين بهم في الرسوخ بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) لاطلاعهم على كمالات المنزل عليك وانه صدق ما أنزل من قبلك فلا بد من الايمان به أيضا (و) لا سيما (المقيمين الصلوة) فانهم يكاشفون باسرار اعجازه هذا الكتاب وغرائب نكته كيف (و) هم (المؤتون الزكوة) أي لتزكية أنفسهم كيف (و) هم (المؤمنون بالله واليوم الآخر) عن مشاهدة قلبية (أولئك) وان زعم هؤلاء انهم انما آمنوا بالكل من عدم رسوخهم فلا يجدون أجر المجتهدين (سنؤتيهم أجرا عظيما) فوق ما يتوهم هؤلاء لانفسهم وقد تحقق لهم العذاب فوق ما يتوهمون لأولئك اذ أجرهم يدفعه وعلمهم لم يرفعه عنهم ثم أشار الى أن الراسخين انما آمنوا بما أنزل اليك لانهم أحاطوا علما بالمنزل

(قوله تعالى تقبل) ترجع (قوله تبارك اسمه تعاظموا) تعبيرا وقوله تعالى ولا تنابزوا أنفسكم لا تعيبوا اخوانكم المسلمين ولا تنابزوا بالالقاب لا تداعوا بها والانباز الالقاب وأحدها نبز قال أبو عمرو نزب أيضا (قوله عز وجل تجسسوا) أي تحسسوا وتبحثوا عن الاخبار ومنه سمي الجاسوس (قوله تبارك اسمه تعالى وتعالى السماء

على الانبياء السابقين فوجدوه مثله فقال (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) فى تنزيه الحق وتوحيده (و) كما (أوحينا الى ابراهيم) فى التخلق بالصفات الالهية (واسمعيل) فى التحقق بما يناسبها (واسحق) فى لحوق الاشياء به فى الظهور فى كل شئ بصورته (ويعقوب) فى التدبير بمقتضى الشرع والتصوف لتحصيل الكمالات (والاسباط) كيوسف فى تنوير القوة الخيالية للكشوفات الصورية (وعيسى) فى التأثير بالله فى الاشياء (وأيوب) فى استخراج أسرار الاشياء (ويونس) فى استنارة النفس بنور الحق (وهرون) فى الامامة (وسليمان) فى الظهور بالرحمتين (و) لا يبعد ذلك اذ (آتينا داود زبورا) جمعنا فيه هذه الامور من الحكمة وفصل الخطاب فيكفيهم مطالعته (و) قد طالعوا كتبا آتيناها (رسلا قد قصصناهم عليك من قبل و رسلا لم نقصصهم عليك و) ربما يحصل لهم بالالهام بلا مطالعة ولا يبعد ذلك اذ (كلم الله موسى تكليما) وقد طالعوا كتابه أيضا على أنه لا حاجة الى هذه الاحاطة فى الايمان بل يكفيهم كونه صالحا للتبشير والانذار فيكون كما آتينا (رسلا مبشرين ومنذرين) ويتم بالزام الحجة لانه انما أرسل (لئلا يكون للناس) الذين نسوا مقتضى الربوبية والعبودية عند معاقبتهم وتفويت الثواب عليهم (على الله) الذى لا الزام لاحد عليه لكن الجهال يحتجون عليه بالغفلة فأراد أن لا يكون لهم (حجة بعد) ارسال (الرسل) المزيلين للغفلة (وكان الله عزيزا) أى غالبا على دفعهم بوجوه كثيرة ولكن لكونه (حليما) دفعهم بأوضح الطرق فى الالزام وان قالوا نحن الراسخون ولا نرى ما أوحى اليك كالذى أوحى الى من قبلك أجيبوا بانهم يرون ذلك ولا يشهدون للعناد (لكن الله يشهد) بإعجازه (بما أنزل اليك) فان اعجازه يدل على انه (أنزله بعلمه) المحيط الذى لا يصل اليه علوم الخلائق (والملائكة يشهدون) عند من يكاشفون له (و) لو لم تستمعوا شهادتهم لانكم محجوبون (كفى بالله شهيدا) باعجازه لهم حتى لم يأتوا بمثله على ألسنة غيرك (ان الذين كفروا) مع اطلاعهم على اعجازه من رسوخهم (و) لم يقتصروا على الكفر بأنفسهم بل (صدوا) الخلائق عن الايمان به وهو صد لانفسهم وغيرهم (عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا) أعظم من ضلال الجهال الذين لا خبر لهم بتلك الكتب لانه يمكن لهم حصول هداية يعقبها مغفرة وهؤلاء لا يرجى لهم (ان الذين كفروا) والكفر لا يغفر (وظلموا) الخلائق باضلالهم وظلم الغير لا يغفر (لم يكن الله ليغفر لهم) كيف والمغفرة فرع الهداية (ولا) كان الله (ليهديهم طريقا) من طرق الآخرة (الا طريق جهنم) لا طريق الخروج عنها فيبقون (خالدين فيها أبدا وكان ذلك) فى حق الراسخين المعاندين مع الله (على الله يسيرا) أيسر من أن يفعل بالمعتذرين بجهلهم اذ لا عذر لهم (يا أيها الناس) الذين نسوا أن الواجب النظر الى الدلائل لا تقليد الراسخين اذا عاندوا (قد جاءكم الرسول) بمعجزات آمن بمعاندوها الراسخون بأنبيائهم وعاندوه ولا وجه لعنادهم لانه جاء (بالحق) أى بالدين الصواب الذى يجب قبوله بدون المعجزات وقد علم بها أنه (من ربكم فآمنوا) واقصدوا (خيرا لكم) من تقليد المعاندين (و) ان كانوا راسخين لا تخافوا التلبيس

(مورا) أى تدور بما فيها وقيل تمور تكفأ أى تذهب وتجئ (قوله تعالى وتسير الجبال سيرا) أى تسير كما يسير السحاب (قوله تعالى تاثيم) أى اثم (قوله تعالى تماروا بالنذر) أى شكوا فى الانذار (قوله عز وجل تطغوا فى الميزان) أى تجاوزوا القدر والعدل (قوله تعالى يحرثون) الحرث اصلاح الارض والقاء البذر فيها (قوله تعالى تفكهون) أى

منه فى اظهار المعجزات على يدى الكاذب لانه اما لتحصيل خير من جر نفع أو دفع ضرر
لاستحالة ذلك فى حقه فانكم (ان تكفروا) فهو غنى عن الكل فلو فرضت له حاجة الى شئ
فلا يحتاج اليكم (فان لله ما فى السموات والارض و) اما للعبث بقبحه واما للعجز لكونهما
لا يتصوران فى حق الله تعالى اذ (كان الله عليما حكيما) فتعين ان اظهارها لتحصيل الخير
لكم لا غير ان آمنتم وتحصيل الضرر لكم ان كفرتم اذ لا يتصور العكس من الحكيم وكيف
تقلدون هؤلاء رسوخهم وقد أدى بهم رسوخهم الى الغلو الذى حقكم ان تنهوهم عنه لا أن
تقلدوهم فيه فقولوا لهم (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) بتعظيم عيسى فوق حده (و) لو
بالغتم فى تعظيمه (لا تقولوا على الله الا الحق) فلا تثبتوا له شريكا أو ولدا (انما المسيح) اسمه
(عيسى) لا الله (ابن مريم) لا ابن الله وبالنظر الى معجزاته هو (رسول الله و) الى ولادته من
غير أب (كلمة) لا جزؤه (ألقاها) أى وصل صورتها (الى مريم) هذا من جهة تكوين جسده
(و) من جهة تكوين روحه غايته انه (روح) وصل منه لا من سائر العقول والسموات فلو
قلتم انه أو ابنه كنتم كافرين بالله (فآمنوا بالله و) ليس هذا منعا من الايمان به فآمنوا
بكونه من (رسله و) لكن (لا تقولوا) الاقانيم أى الجواهر (ثلاثة) أقنوم الاب وهو الذات
وأقنوم الكلمة وهو العلم وأقنوم الحياة وهو الروح القدس ولو قلتم بها (انتهوا) عن القول
بحلول بعضها فى عيسى أو اتحاده به واقصدوا (خيرا لكم) وهو أنه المتصف بالكمالات ظهور
ظهور الصورة بالمرآة فى عيسى ولا تقولوا بالحلول المخل بالالهية لجعله الاله تابعا للغير وهو
ينافى وجوب الوجود ولا بالاتحاد لانه اذا اتحد بالمخلوق لا تبقى الالهية ويتكثر بتكثير
المتحد به (انما الله اله واحد) ولا بالابنية المستلزمة للتشبه بالحيوانات (سبحانه أن
يكون له ولد) ولو فرض لم يكن من جملة ما فى السموات وما فى الارض اذ (له ما فى السموات
وما فى الارض) ملكا ولا يتصور كون الولد ملكا للوالد ثم هو مشعر بالحاجة (و) لا
حاجة لله اذ (كفى بالله وكيلا) فى القيام بجميع الشؤن ولو قالوا نحن لا نغلو فى ديننا
ولكنكم تنقصون حق عيسى اذ تجعلونه عبد الله مع انه كان يفعل أفعال الله من الاحياء
والابراء أجيبوا بان هذا لو كان نقصا لكان عيسى مستنكفا منه لكن (لن يستنكف)
أى ان يأنف ولن يتعظم (المسيح) من (أن يكون عبدا لله ولا) من هو أقوى منه فى
فعل الخوارق وهم (الملائكة المقربون) من أن يكونوا مع غاية علو رتبتهم عبيدا لله
كيف (و) قد علموا انه (من يستنكف) من ملك أو جن أو انس (عن عبادته) أى امتثال
أوامره ونواهيه (ويستكبر) عن عبوديته (فسيحشرهم) أى المستنكفين وغيرهم
(اليه جميعا) ليرى كل ما يفعل به وبخلافه من الاعزاز والاذلال فيزداد المعز سرورا بعزته
وذلة مخالفه ويزداد المذل حزنا بذلته وعزة مخالفه (فأما الذين آمنوا) فلم يستكبروا عن
عبوديته (وعملوا الصالحات) فلم يستنكفوا عن عبادته (فيوفيهم أجورهم) على ما تحملوا
الذلة فيه لينقلب عزة (ويزيدهم) على أجورهم شيأ عظيما (من فضله) المضاف الى عظمته

تعجبون ويقال تفكهون
وتفكنون أيضا بالنون
لغة كل أى تندمون (قوله
تعالى تجعلون رزقكم
أنكم تكذبون) أى
تجعلون شكركم التكذيب
ويقال المعنى تجعلون شكر
رزقكم التكذيب فحذف
الشكر وأقيم الرزق مقامه
كقوله واسئل القرية أى
أهل القرية (قوله تعالى
تشتكى) أى تشكو (قوله
تعالى تحاورنكما) محاورتكما
أى مراجعة القول (قوله

مبالغة فى اعزازهم (وأما الذين استنكفوا) عن عبادته (واستكبروا) عن عبوديته (فيعذبهم عذابا أليما) يذلهم به أشد من التذلل بالعبادة والعبودية (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) يعزهم (ولا نصيرا) يدفع عنهم ذلتهم فهؤلاء علموا ان فى الاستنكاف كمال الذلة التى يهربون عنها وفى الانقياد كمال العزة التى يطلبونها وأنتم ترون كمال العزة فى الاستنكاف وكمال الذلة فى الانقياد مع انكم تدعون انكم راسخون وأدى بكم رسوخكم الى القول بأن التعزز عزة والتذلل ذلة مع انهما انما يكونان من اعزاز الله واذلاله ثم أشار الى انه انما يأخذ العوام بقول الراسخين فيما لم يظهر لهم برهان قطعى على خلاف قولهم (يا أيها الناس) أى الذين نسوا البرهان القطعى من عقولكم (قد جاءكم برهان من ربكم) الذى ربى بالدلائل النقلية مقتضى عقولكم فأيدها (و) ليس من المقدمات الخفية لكن لما خفيت عليكم لعدم التفاتكم اليها (أنزلنا اليكم) من مقام عظمتنا (نورا مبينا) من المقدمات البديهية لاعما يشبهها من الاكاذيب حتى ظهر لكم بذلك كفر الراسخين من غلوهم حتى صار وا محل غضبه لمكابرتهم مع القطعيات فى حق الله (فأما الذين آمنوا بالله) فلم ينقصوا شيأ من حقه باثبات الشريك أو الولد (واعتصموا به) أى ببرهانه ونوره (فسيدخلهم فى رحمة منه) مع تركه الراسخين من هؤلاء فى غضبه (و) لو نجاهم لان غلطهم من اجتهادهم فيدخل هؤلاء فى (فضل) منه يتفضلون به على الراسخين منهم فى زعمهم كيف وقد ضلوا ضلالا (و) هؤلاء (يهديهم) هداية توصلهم (اليه) أى الى مقام قربه اذ يسلكهم بتمسكهم بالبرهان والنور المبين (صراطا مستقيما) مع اضلاله الراسخين فى زعمهم من غلوهم ومن هداية الله لمن تبع برهانه ونوره الاطلاع على احكام المواريث التى حار فيها عقول الخلائق فهم (يستفتونك) فى المواريث سيما ميراث الكلالة (قل الله) لا من تزعمون رسوخهم (يفتيكم) أيها الحيارى فى الميراث سيما (فى الكلالة) وهو من لا ولد له ولا والد له اخوة أو اخوات أو كلاهما فيقول (ان) مات (امرؤ هلك) أى تحقق موته (ليس له ولد) ولا والد لكن لم يذكره اظهورا وجيبته للاخوة لانه أقرب حائز والولد قد لا يكون حائزا كالبنت ولا جب له ظاهرا لان الاخوة ليست مدلية بهم والام لا حيازة لها (وله أخت) من الابوين ثم من الاب (فلها نصف ما ترك) تنزيلا لفرع أصله منزلة فرعه عند عدمه (وهو) أى المرء (يرثها) أى الاخت حائزا (ان) هلكت ولم (يكن لها ولد) لانه فرع أصلها فنزل منزلة فرعها الحائز عند عدمه لانه ذكر والاصل فيه الحيازة وان كانت لها بنات أخذ الباقى وان كان لها ابن حجب بالكلية (فان كانتا) أى الوارثتان من أولاد الابوين أو الاب أختين (اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) اذ لا حيازة لهما وكذا ما فوق الاثنتين اذ لا حق يدلهن على بنات الصلب (وان كانوا) أى الوارثون من أولاد الابوين أو الاب (اخوة) ذكر ليعلم ان الوراثة للاخوة لا للذكورية ولم يقل واخوات ليعلم ان التفضيل ليس من جهة الاخوة بل من جهة اجتماعهم (رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) كاجتماعهم فى أولاد الصلب (يبين الله

تعالى نفسوا) توسعوا (قوله تعالى تحرير رقبة) أى عتق رقبة يقال حررت المملوك فحر أى أعتقته فعتق والرقبة ترجمة عن الانسان (قوله تعالى تبوؤا الدار) أى لزموها واتخذوها مسكنا أى تمكنوا فى الايمان واستقر فى قلوبهم (قوله تعالى تماسرتم) أى تضايقتم (تفاوت) أى اضطراب واختلاف وأصله من الفوت وهو أن يفوت شئ شيأ

لكم) هذه الامور وان كانت دنيوية كراهة (أن تضلوا) فيها فكيف يترك بيان الامور الاخروية التي الضلال فيها أشد (والله بكل شئ عليم) فلا يبين الا بمقتضى ما أحاط به علمه الكامل فلا يؤخذ في مقابلة بيانه بيان غيره وان زعم انه ناسخ تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة المائدة)

سميت بها لان قصتها أعجب ما ذكر فيها الاشتمالها على آيات كثيرة ولطف عظيم على من آمن وعنف شديد على من كفر فهو أعظم دواعي قبول التكاليف المفيدة عقدة المحبة من الاتصال الايماني بين الله وبين عبيده (بسم الله) الجامع بين اللطف والعنف في أحكامه التي كلف عباده بها بمقتضى أسمائه وصفاته (الرحمن) بجعلها مناط مصالح العباد في معاشهم ومعادهم (الرحيم) بجعلها عاقدة محبة من اتصال ايماني بينه وبينهم (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الذي هو الاتصال المعنوي لكم بالله تقويته باحكامه التي تقويه تقوية العقود الحسية للاتصال الحسي (أوفوا بالعقود) أي كملوا القيام بالاحكام التي تقوى الاتصال الايماني بالانقياد لها سيما لما لا يعقل الجمهور معناها كتحليل الانعام بذبحها (أحلت لكم بهيمة الانعام) أي ما لا يعقل من الحيوان فأشار الى سر تحليلها بأن نفوسها لما أبهم عليها عواقب الامور فتبديلها بالنفوس الانسانية انعام عليها (الا ما يتلى عليكم) تحريمه أو اعتبار قول من يحرمه أي الرسول عليه السلام وانما أحل لكم غير المستثنى مطلقا حال كونكم (غير محلي الصيد) أي غير صائدين أو ذا يجين للصيد أو دالين عليه أو معين يصاد له فكل ذلك تحليل للصيد (و) انما استثنى هذا من غير المستثنى للكل اذ (أنتم حرم) وانما يتم انقيادكم اذا انقدتم لها من غير تعقل المعنى فقلتم (ان الله يحكم ما يريد) وان كان لا يريد شيأ الا وفيه الحكمة البالغة كما يأتي في مواضع الاستثناء (يا أيها الذين آمنوا) لما اقتضى ايمانكم تحريم الصيد عليكم لقصدكم شعائر الله فاقتضاؤه تحريم قتل الناس فيها بطريق الاولى (لا تحلوا شعائر الله) أي الاماكن التي هي أعلام النسك فلا تقتلوا فيها (ولا الشهر الحرام) لانه من الازمنة كالشعائر من الامكنة (و) كيف تستحلون هتك حرمة الشعائر مع انه حرم هتك حرمة الهدى اليها بل حرمة ما ظن كونه هديا اليها (لا) تحلوا (الهدى ولا القلائد) أي التي قلدت بها النعل أو لحاء الشجر ليعلم كونها هديا (و) كيف تستحلون القتل فيها وقد حرم قتل من قصدها ولم يصل اليها (لا) تحلوا قتل (آمين) أي قاصدين (البيت الحرام) للزيارة وان لم يكن فيها هتك حرمته ولكن لكونهم (يبتغون فضلا) أي ثوابا (من ربهم ورضوانا) فحقكم ان تعينوهم لا ان تقتلوهم (و) انما قلنا ان تحريم الصيد لحرمة البيت لانه أبيح لكم بعد الاحرام (اذا حللتم فاصطادوا) لا يرتفع تحريم قتلهم لكونهم أهل الحرب لكم (لا يجرمنكم شنآن) أي لا يحملنكم على الجريمة شدة عداوة (قوم) وان كانت ناشئة من (أن صدوكم عن المسجد الحرام) على (أن تعتدوا)

فيقع الخلال (قوله تعالى تميز من الغيظ) أي تتشقق غيظا على الكفار (قوله عز وجل نعيها أذن واعية) أي تحفظها أذن حافظة من قولك وعيت العلم اذا حفظته (قوله تعالى ترجون لله وقارا) أي تخافون لله عظمة (قوله تعالى تبارا) أي هلاكا (قوله عز اسمه تحروا رشدا) أي توخوا وتعمدوا والتوخي القصد للشئ (قوله تعالى تبتل